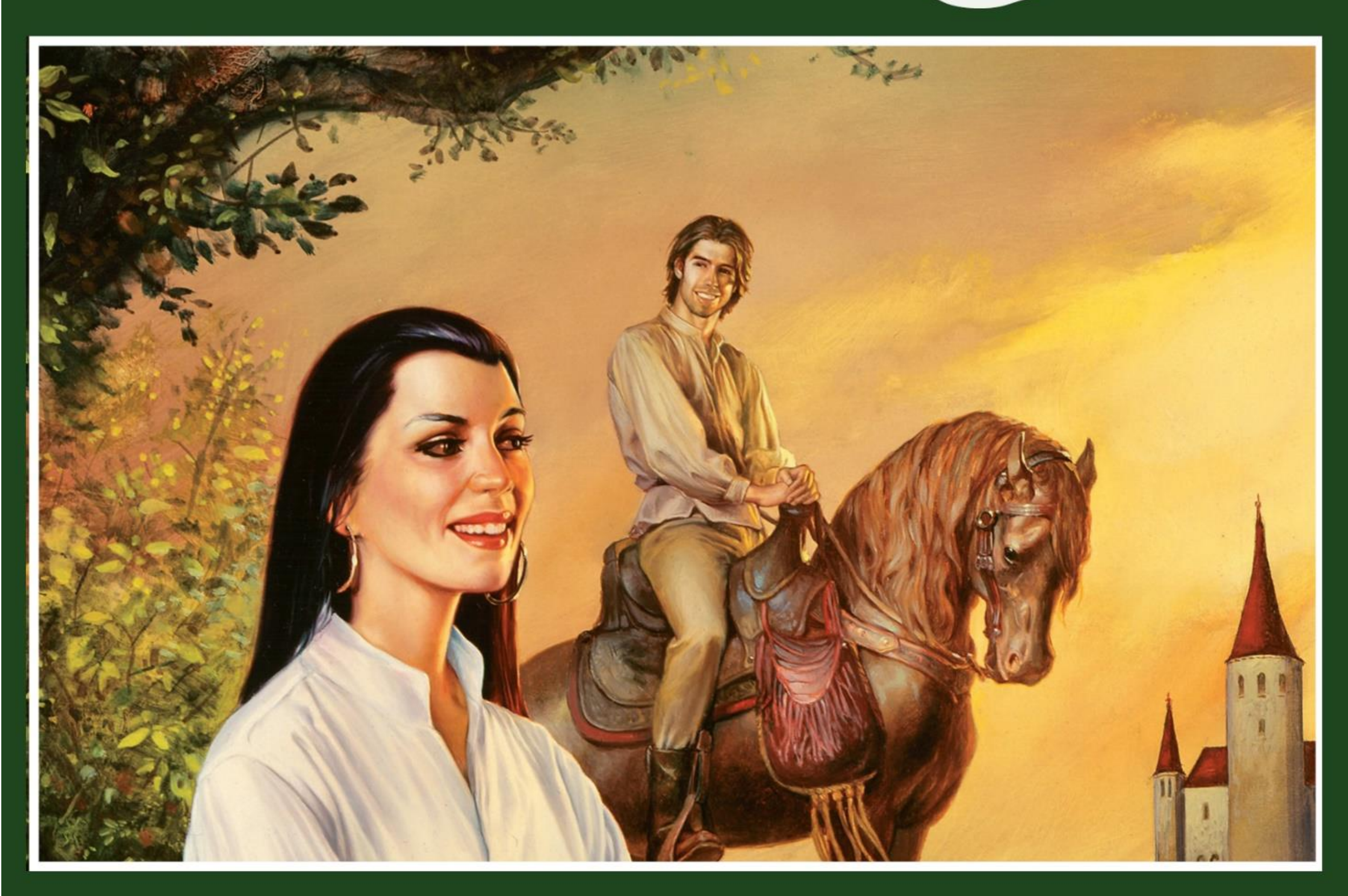
قصة فارس من الممالك السبعة - حكايا دانك وإيغ

جورج ر. ر. مارتن



الفارس المتجول

ترجمة: عبدالرحمن حدّاد

مدوّنة سامساويات

جورج ر. ر. مارتن

فارس من الممالك السبعة

الجزء الأول من سُباعيّة دانك وإيغ

ترجمة: عبد الرحمن حدَّاد



الفارس المُتَجوِّل

تدور الحكاية هنا قبل مئة عام تقريباً من بدء أحداث لعبة العروش.



لم يَجِد دانك صعوبةً في حفرِ القبرِ للرجُل العجوز، فقد كانَت الأمطار قد ليَّنت التُربة، وقد قرَّر حفره على مُنحَدَرٍ غربيٍّ لتلَّةٍ صغيرة للعجوز الذي لطالما أحبَّ مُشاهدة غروب الشمس. كانَ ليتنهَّد قائلاً: «هاقد مضى يوم آخر! .. ومن يدري ماذا سيُخبِّئ لنا الغد، صحيح، يا دانك؟».

على كُلِّ حال، كان الغدُ قد جلَب معه أمطاراً تَصِل للعظم، وما بعدَه جلبَ رياحاً عاصِفةً رَطِبة، وما بعده بردٌ قاسٍ. وصولاً إلى اليوم الرابع، كان الرَّجل العجوز قد ضَعُفَ ولم يَعُد يقوَ على ركوب الخيل، والآن، رحل. قبل بضعة أيّام فقط، كان يُغنِّي أثناء ركوبه تلك الأغنية القديمة عن التوجُّه إلى بلدَة النوارس ومشاهدة الصَّبايا، ولكن بدلاً من بلدة النوارس، كان يُغنِّي لآشفورد. غنَّاها دانك بائساً بينما يحفُر. *إلى آشفورد لرؤية الصَّبايا .. هيبي هوو .. هيبي هوو.*

عندما أصبَحت الحفرة عميقةً كفاية، رفعَ جُثمانَ العجوز بينَ ذراعيه وحَملهُ إليها. كان رجُلاً صغيراً ونحيفاً، وبعدَ تجريدِه من دِرعِه الزرديِّ ذي الحلقات المعدنيَّة وخوذته وغمد سيفه، بدا أنه لا يَزِن سوى جراب من ورق. وقد كان دانك سابغَ الطول بالنسبة لعُمرِه، وهوَ صبيٌّ ثقيلٌ عريض العِظام أشعَث، يبلغ من العمر ستَّة عشر أو سبعة عشر عامًا (لم يكن أحد يعرف ذلك بدقَّة) وطوله يُقارب السبعة أقدام. غالِباً ما امتَدح العجوز صلابَته، وهذا أمرٌ كان يُتقن فِعله نحوه.

أراحَه أسفل القبر ووقفَ بجانِبه لوهلة، كانت رائحة المطر تعمُّ الأجواء من جديد، وكان يعلَم أن عليه ردم القبر قبلَ هطوله، لكن من الصعب عليه ملأ الأوساخ على هذا الوجه المُتعَب العجوز. *من المفتَرضِ أن يكونَ هناك سيبتون هنا ليتلوَ بعض الدعوات، لكن هناك أنا فقط.* لقد علَّم العجوز دانك كلَّ ما يعرفه عن السيوف والدُّروع والرِماح، لكنّه لم يكُن جيِّداً في تعليمه للكلمات.

قالَ في النهاية مُعتذراً: «كنتُ لأترك سيفَك هنا، لكنّه سيصدأ في الأرض .. أعتَقِد أنّ الآلهة ستَمنَحُك واحِداً جديداً .. أتمنّى لو لم تَمُت، يا سيِّدي». توقّف هُنيهة، لا يعرف ما يجب أن يُقال. لم يحفظْ أي دعوات من قبل، كما أن العجوزَ لم يكن يدعو كثيراً. «كنتَ فارِساً حقيقيّاً، ولم تضربني قطّ إلا عند استحقاقي لذلك ...» استدرَك، وأكمَل: «باستثناءِ تلكَ المرَّة الوحيدة في بركة العذارى، عندما أخبَرتُكَ أن الصبيَّ هو من أكل فطيرةَ الأرملة وليس أنا. لكن لا يَهُمُّ الآن. فلتحفظكَ الآلهة يا سيّدي». بدأ بردمِ الأوساخ على القبر، ثم ملأه بشكلٍ تدريجيّ دون النظرِ إلى الشيء الذي في القاع. حَظِيَ بحياةٍ طويلة، فكّر دانك، لابدَّ أن عمره أقرب للستِّين منه للخمسين، وكم من الرجال يصلون لهذا العُمر؟ على الأقل عاشَ لرؤية ربيع آخر.

كانت الشمس تغرب بينما كان يطعم الخيول الثلاث: فرسَه معقوفة الظهر، والفرس رفيقة الرَّجُل العجوز، ورعد، خيله الحربيَّة، الذي يمتطيه فقط في البطولات والمعارك. لم يكن الفحل البنيُّ الكبير سريعًا أو قويًا كما كان من قبل، ولكن عينه مازالت بارقة وروحه شَرِسة، كان أكثر قيمة من أي شيء آخر يمتلكه دانك. *إذا قمتُ ببيع رعد والكستنائيَّة مع سرجِهم ولجامِهم، فسوف أوفّر نقوداً فضيّةً بما يكفي لـِ* ... عبسَ دانك من الفكرة. فأسلوب الحياة الوحيد الذي يألفُه هو حياة الفُرسان الجوَّالين، راكضاً من حمايةٍ لحماية، في خدمة هذا اللورد وذاك، يُقاتِل في معاركهم ويأكُل من صحونهم، حتّى انتهاء حروبِهم، ثُمَّ يمضي. مع المشاركة في بطولاتٍ من حينٍ لآخر، ورغم أنّه يعلم أن كثيراً من الفُرسان الجوَّالين يتحوَّلون لقُطَّاع طُرِق خلال شهور الشَّتاء القاسية، إلّا أنَّ العجوزَ لم يَسبِق له فعلُ ذلك.

يمكنني إيجاد فارس متجوِّل آخر بحاجةٍ إلى مُرافقٍ يرعى حيواناتِه ويُنظِّف دروعه. أو ربما أذهب إلى مدينة ما .. إلى لانيسبورت أو كينغز لانديغ لأنضمَّ لِحَرس المدينة، أو لأيِّ مكان.

كان قد جمَع أغراض الرجل العجوز تحت شجرة البلّوط. احتوَت مِحفَظتُه القُماشيّة على ثلاثِ أيائِل فضيَّة، وتسعة عشر قِرشاً نُحاسيّاً، وعقيقاً منقوشاً. وكغيرِه من الفُرسانِ المتجوِّلين، فإن ثروَته الحقيقيّة تكمُن في خيولِه وأسلِحَته. والآن ذهبْت ملكيّتهم إلى دانك من بعدِه، الدِرَع الزرديّ الذي قاوَم الصدأ ألف مرّة، وخوذةٌ حربيّة نصفيّة مع انبعاجٍ في جانبها الأيسر، وغُمدَ سيفٍ من الجلد البُنّي المُشقق، ونصلٌ طويل مع غمده الجلديّ الخشبيّ، بالإضافة لخنجرٍ وموسٍ ومشحذ، ودرعٌ للساقين وآخر للعُنق، وحربَة بثمانية أقدامٍ طولاً مصنوعة من البرادَة تنتهي برأسٍ حديديّ صلب، ودرع خشبيّ من البلّوط مع حافّة معدنيّة مُدبّبة يحمِل راية السير آرلان البينيتري: كأسٌ فضيّة مُجنّحة وخلفيّة بنيّة اللون.

نظر دانك إلى الدرع، أزاح الغُمد، ونظر إلى الدّرع مرّة أخرى. لقد صُنِع حزام الغمدِ من أجلِ وِركَي الرجل العجوز النحيفين، وهذا شيءٌ لن يكونَ مناسِباً له. قام بربطِ الغُمد مستخدِماً حبل القُنّب، وربطه حول خصره، ووضع السّيف الطويل.

كان النصلُ قائماً وثقيلاً، مصنوعٌ من الصّلب المتين المُثنّى في القلاع، مع جلدٍ ناعمٍ ملفوف حول المقبض الخشبيّ، وعجرةٍ مصقولة مُرصّعة بحجر أسود. كانَ سيفاً بسيطاً، لكنّه حادّ كما كان دائماً، يعلمُ دانك ذلك جيّداُ، فهو من كان يقوم بشحذِه وتزييتِه لعدّة ليالٍ قبل النوم. *إنه مُناسب لقبضتي كما كان مناسِباً لقبضة العجوز* .. فكّر في نفسه .. *وهناكَ بطولة في مرجِ آشفورد.*

وأكمَل المسير.

***

كانت الفرس حلوَة الأقدام تسير بارتياحٍ عكسَ الكستنائيّة العجوز، وكان دانك يشعُر بالتعب حينما لمحَ نُزلاً أمامه، مبنىَ طويل من الطينِ والخشب بجانِب الجدول. بدا الضوء الأصفر الدافئ المتسرب من نوافذه جذَّابًا لدرجة أنه لم يستطع تجاهُله. قال في نفسه، *لديَّ ثلاثُ أيائل فضيّة، ما يكفي لتناول وجبةٍ جيّدة مع جعة.*

وبينما كان يترجّل عن حصانه، ظهرَ صبيّ عارياً يقطُر من النهر وبدأ بتجفيف نفسِه بردائه بُنيّ اللون. سأله دانك: «هل أنتَ صبيّ الإسطبل؟». بدا أن عُمرَ الفتى لا يزيد عن الثمانية أو التسعة سنوات، شاحب الوجه نحيل، قدماه العاريتان ملطختان بالطين حتى كاحله. أما شعرُه فهوَ أغرب شيءٍ فيه، فلم يكن هناك شعر أصلاً: «أريدُ تنظيف الفرس وإطعام الثلاثة، أيمكِنُكَ الاعتناء بهم؟».



نظرَ إليه الطفل بوقاحة: «أستطيعُ فِعلَ ذلك إذا أردتُ».

عبسَ دانك: «نعم، يجبُ أن تريد فعل هذا، فأنا لن أفعلَ شيئاً. أنا فارس، بالمناسبة».

«لا تبدو فارِساً».

«أكلُّ الفُرسان متشابهون؟».

«لا، ولكنّهم لا يُشبهونك أيضاً. ثُمّ إنّ حامل سيفِك عبارةٌ عن حبل».

«طالما ذكرتَ السيف، فإنه حادّ ويقطعُ بشكلٍ جيّد. الآن، انظُر إلى الخيول، إذا فعلتَ ما قلتُ ستحصل على قطع نُحاسيّة، وعلى فركَةِ أُذن إذا لم تفعل». لم ينتظر ليرَ ردّة فعل صبيّ الإسطبل، أدارَ كتفيه وتوجّه نحوَ الباب.

كانَ يتوقّع أن يكون النُزل مزدحماً في هذه الساعة، لكنّ الصالَة المشتركة كانت فارغةً تقريباً إلّا من أحدِ الشُبّان اللوردات يرتدي عباءةً مُزخرفة على إحدى الطاولات نائماً وصوت شخيره يملأ المكان وبجانبه قدحٌ مسكوبٌ من النبيذ. خلاف ذلك لم يكُن هناك أحد. نظرَ دانك حولَه مُتردّداً إلى أن ظهرت امرأةٌ ممتلئة قصيرة ذات وجهٍ باهت من المطبخ، وقالت له: «أتريدُ جعةً أم طعام؟».

«كلاهُما».

أخذَ دانك كرسيًّا بجوار النافذة بعيدًا عن الرجل النائم.

«لدينا لحمُ ضأن جيّد مطبوخٍ مع الأعشاب، وبعض البطّ اصطاده ابني، أيهما تُريد؟».

لم يكُن قد أكل في نُزلٍ منذ نصف عام أو أكثر: «كِلاهُما».

ضحكتْ المرأة.

«حسنٌ، أنت ضخمٌ بما يكفي لذلك». ثُمَّ استلّت قدحاً من الجعة وجَلبته إلى الطاولة: «أتريدُ غرفةً لليلةِ أيضاً؟».

«كلّا». لم يحُبَّ دانك شيئاً أكثر من المبيت على فراشٍ ناعم وسقفٍ فوق رأسه، لكنّه يجب أن يكون حذراً بشأن النقود المُتبقّية معه، لذلك الأرض ستفي بالغرض. «بعضُ الطعام والنبيذ، وآشفورد أمامي، كم تبعُد عنّي؟».

«ركوبَ يومٍ واحد. توجَّه شمالاً عِندَ مُفتَرق الطُرق عندما ترَ الطاحونةَ المحروقة. هل يعتني ابني بخيلِك أم أنه فرَّ مرةً أخرى؟».

«نعم، إنّه هنا .. يبدو أن لا زبائن لديكِ».

«نِصف البلدَة ذهبت لمشاهدة البطولة، وابني يُريد ذلك لو أذنتُ له. سيكون النُزل فارغاً لو ذهبتُ معهم، والفتى سوف يتباهى بنفسه مع الجنود، والفتاة ستضحك وتتنهدّ في كلّ مرّة يمرّ بها فارس. أقسمُ أنّي لا أفهم لماذا، أعني أن الفُرسان مُجرّد رجالٍ عاديّين، هل طرأ أيّ تغيير عليهم!». ثُمّ نظرت لِـ دانك مُتفحّصة، واستنتجت من زيّه وحزامه وسيفه شيئاً واحداً: «أنتَ ذاهبٌ إلى هناك أيضاً؟».

أخذَ رشفةً من الجعة السميكة بنيّة اللون كما يُحبّها قبل أن يقول: «نعم .. لأكون أحد الأبطال».

قالت الحانوتيّة بلُطف: «هل أنتَ كذلك، حقاً؟».

على الطرف الآخر من الغرفة، رفعَ اللورد الشاب رأسه من بركة النبيذ، بوجهٍ أصفر قذرٍ كوكرِ فئران، مع شعرٍ رمليّ بنيّ، وشعر خفيف أشقر في ذقنه. حكّ فمه ونظر إلى دانك قائلاً: «لقد حلمتُ بك». ارتجفت يده وهو يشير بإصبعه نحوه: «ابتعد عنّي .. هل تسمعني؟ ابقَ بعيداً عنّي».

حدّق دانك نحوه في ريبة: «سيّدي؟».

انحَنت الحانوتيّة نحوه قائلة: «لا تُلقِ بالاً لهذا يا سيّد. جلّ ما يفعله هو الشُرب والتحدّث عن أحلامه. سأحضّر الطعام». ثُمَّ التَفتت مُغادرة.

«طعام؟». قالها اللورد الشاب باشمئزاز. ترنّح على قدميه، ووضع يداً فوقاً الطاولة ليمنع نفسَه من السقوط. وصرَّح قائلاً: «سوف أمرَض». كان جليّاً على سترته الحمراء بقع النبيذ القديمة. «أردتُ عاهرة وحسب، لكن لم أعثر على أحدٍ هنا، جميعهنّ ذهبن إلى مرج آشفورد. فلترحمني الآلهة. أحتاج إلى بعضِ النبيذ». ترنّح مُتمايلاً مغادراً الصالة المشتركة، وسمعه دانك يتسلّق الدرجات ويُغنّي مُثقَل الأنفاس.

كائنٌ مُحزنٍ، فكّر دانك. *لكن لماذا يعتقد أنه يعرفني؟* وعزا ذلك للبيرة التي يشربها.

كان الضأنُ شهيّاً أطيبَ من أيّ ضأنٍ أكله من قبل، والبطّة كانت أشهى، مطبوخةً بالكرز والليمون ليسَ بها دُهنٌ كغيرها. جلبَت له الحانوتيّة أيضاً طبقاً من البازلّاء بالزبدة، وخبز الشوفان طازجاً من فُرنِها. *هذا ما يعنيه أن تكون فارساً.* أخبَر نفسه وهو يمصّ آخر قطعة من عظم اللحم. *طعام شهيّ، ونبيذٌ متى ما أردت، ولا أحد فوق رأسي يوبّخني.* كان لديه كوزٌ ثانٍ مع الوجبة، وثالثٌ ليزلِط الطعام، ورابعٌ لأن أحداً لم يمنعه ببساطة. وعندما انتهى، دفع للمرأة بأيّل فضيّ وبقيَ لديه حفنةٌ من القروش.

كان الظلام دامساً في الوقت الذي خرج دانك فيه، مع معدةٍ ممتلئة وجراب نقودٍ أخفّ، لكنّه شعرَ بالارتياح وهو يمشي إلى الإسطبل، سَمِع لُجْبَ الحصان قادماً من الإسطبلات، يليه صوت صبيٍّ صغير: «على مهل، يا فتى». فأسرع دانك بخطواته غاضباً.

وجد صبيّ الإسطبل راكباً على رعد ويرتدي درع الرجل العجوز، وقد كان الزرد أطول من الصبيّ، بينما أمال الخوذة للخلف على رأسه الأصلع كي لا تُغطّي عينَيه. بدا جاداً جدّاً، وسخيفاً جدّاً. توقّف دانك على باب الإسطبل وضحك.

نظرَ الصبيّ إليه، واحمرّ وجهه، وقفز على الأرض: «سيّدي .. لم أقصد أن ...»

«أيّها اللِصّ». قال دانك مُحاولاً أن يبدو صوته صارماً: «اخلع هذا الدرع، وكُن سعيداً أن رعد لم يركلك على هذا الرأس الأحمق، إنّه حصانٌ مُحارب، وليس مهراً أليفاً».

خلعَ الصبيّ الخوذة وألقاها على القشّ: «بإمكاني ركوبه كما تفعل أنت». قالها الصبيّ بتحدٍّ ظاهر.

«أغلِق فَمك، لا أريد سماع المزيد من وقاحتك. اخلَع الزرد أيضاً. ماذا كنت تحسب نفسك فاعلاً؟».

«كيف أُجيبكَ وفمي مغلق». وتلوّى الصبيّ مُسقطاً الزرد على الأرض.

قال دانك: «بإمكانك فتح فمك للإجابة .. الآن، التقط الدرع، ونظّفه من الأوساخ، وأعده إلى حيث وجدته، وافعل ذلك بالخوذة أيضاً .. هل أطعمت الخيول كما أخبرتك؟ ودلكت حلوَة الأقدام؟».

«نعم». أجابه الصبيّ وهو يهزّ الدرع لتنظيفه من القشّ. «أنت متوجّه إلى آشفورد، أليس كذلك؟ اصحبني معك يا سيّدي».



تذكّر أن الحانوتيّة قد تحدّثت عن ذلك: «وماذا قد تقول والدتك بشأن هذا؟».

«والدتي؟». قطّب الصبيّ وجهه وأكمل: «والدتي ميّتة، لن تقول شيئاً».

فوجئ من ردِّه، *ألم تكُن الحانوتيَّة أمه؟ ربما كانَ يتدرّب لديها فقط*. كان دانك يشعُر بدوُّار النبيذ: «هل أنتَ يتيم؟». سأله بشكّ.

ردّ عليه بسؤاله: «هل أنتَ كذلك؟».

«كنت كذلك ذات يوم». وأكَّد في نفسه، *إلى أن أخذني الرجل العجوز.*

«إذا أخذتني معك، أستطيع أن أكون مُرافقاً لك».



أجاب دانك: «لستُ بحاجةٍ لمُرافق».

قال الصبيّ: «كل فارسٍ يحتاج مُرافقاً، ويبدو أنك بحاجة لمرافق أكثَر من غيرك».

رفع دانك يده مُهدّداً: «وأنتَ، يبدو أنك بحاجة لفركة أذنٍ حقاً. املأ لي كيسَ الشوفان، سأتوجَّه نحوَ آشفورد .. وحدي».

لو كان الصبيّ خائفاً، فقد أخفى هذا الخوف جيّداً، وقفَ للحظة مُتحدياً دانك ويداه معقودتان على صدره، وبمجرّد إنزال دانك يده، استدار الصبيّ وذهب ليملأ الشوفان.

ارتاح دانك من هذا العبء، وفكّر بنفسه، *من المؤسف أني لا أستطيع فعل ذلك .. إن لديه حياةً جيّدة هنا في النزل، أفضل من أن يحيى كمُرافقٍ لفارسٍ متجوّل، لن يكون من اللطيف أخذه.* ومع ذلك، مازال يشعر بخيبة أمل الفتى.

بينما كان يصعد على حلوة الأقدام ويقود رعد، فكّر دانك أن قرشاً نحاسياً قد يبهجه قليلاً: «خُذ يا فتى، جرّاءَ مساعدتك». ثُمّ ألقى عليه العملة مبتسماً، لكن صبيّ الإسطبل لم يقم بأي ردة فعل، وسقطت على الوسخ بينَ قدميه الحافيتين، وهناك تركها.





أخبَر دانك نفسه: سيأخذها حينما أرحل. ووجّه المهرَة بعيداً عن النزل، مقتاداً الحصانَين الآخرَين. كانت الأشجار منيرةً مع ضوء القمر، والسماء صافية مليئةٌ بالنجوم. ومع ذلك وبينما كان يمشي في الطريق، شعَر بنظرات صبيّ الإسطبل تُحدّق في ظهره مُتهجّماً وصامتاً.

كانت ظلال الظهيرة تطول حينما وصل دانك إلى حافَّة مرج آشفورد، مع ستّون خيمة قد نُصِبَت بالفعل في الحقل العُشبيّ، بعضها صغير، والآخر كبير، وبعضها مُربَّع وبعض منها دائري، وبعضها مصنوع من قماش الأشرعة، وآخرٌ من الكتَّان، وبعضها من الحرير. وجميعها ذات ألوانٍ زاهية، مع راياتٍ طويلة تخرج من عِمدانها المركزيّة، ساطعةً أكثر من حقلٍ من الزهور البريَّة الحمراء القانية والصفراء الشمسيّة، ودرجاتٌ لا حصر لها من الأخضر والأزرق، والأسود القاتم بالإضافة إلى الرماديِّ والأرجوانيِّ.



لابدَّ أن الرجل العجوز كان قد جالَ مع بعضٍ من أولئك الفرسان، فقد عرَف دانك بعضهم من الحكايات التي رُويت في الصالات المشتركة وحول نيران المُخيَّمات. وعلى الرغم من أنه لم يتعلم أبداً ذلك السحر وراء القراءة والكتابة، إلَّا أن الرجل العجوز كان قاسياً في تعليمه الرايات المختلفة والكلمات الخاصة بالمنازل أثناء ترحالهم. فمثلاً العنادل رمز اللورد كارون المرشيسيِّ الذي كان بارعاً في عزف القيثارة الكبيرة تماماً كبراعته في استخدام الحربة. والوعل المتوَّج للسير ليونيل باراثيون العاصفة الضاحكة. كما رأى دانك صيَّاد آل تارلي، والبرق البنفسجيِّ لـ آل دونداريون، والتُّفاحَة الحمراء لـ آل فوسواي، وراية آل لانستر مع الأسد الذهبيِّ الزائِر وخلفيَّة قُرمزيَّة، وهناك الأخضر القاني للسلحفاة رمز آل إستيرمونت التي تسبح عبرَ حقلٍ ذا لونٍ أخضر باهت. وتلك الراية البنيَّة ذات الفحل الأحمر قد تنتمي إلى السير أوثو براكين الذي كان يُطلَق عليه اسم وحش آل براكين، وذلك منذ مقتل اللورد كوينتين بلاكوود قبل ثلاثِ سنوات في بطولة مباريات كينغز لانديغ. سَمِع دانك أن السير أوثو ضرب بقوّة مستخدماً بلطته الطويلة لدرجة أنَّه هشَّم خوذة اللورد بلاكوود ووجهه من تحتها. وقد شاهد بعضَ رايات آل بلاكوود أيضاً في الجهة الغربيّة من المرج، بعيدًا عن السير أوثو بقدر الإمكان. هناك أيضاً رايات آل ماربراند، وماليستر، وكارغيل، وويسترلينج، وسوان، وموليندور، وهايتور، وفلورنت، وفراي، وبنروز، وستوكورث، وداري، وبارين، ووايلد. *يبدو أن كُلَّ منزل في الغرب والجنوب أرسلوا فارسًا أو أكثر إلى آشفورد للقتال على شرف الصبيَّة الصغيرة.*



على كلّ حال، أيّاً ما كانت رايته، كان يعلم أن لا مكان له بينهم هنا. ففي الوقت الذي يتناول فيه الأسياد والفرسان طعامهم من الكبوش والخنازير الصغيرة، سيكون عشاء دانك قطعة قاسية من لحم البقر المُملّح، وعباءةٌ صوفيّة بالية هيَ كلُ ما لديه ليأوي هذه الليلة. كان يعلم أنه إذا نصبَ معسكره في هذا المرج المُزيَّن، فسوف يعاني من الازدراء الصامت والسخرية، نعم ربما يعامله البعض بلطف، لكن الأغلب بطريقة سيئة.

يجب على الفارس المتجوّل التمسّك بكبريائه، فبدونه، لن يكون سوى سيفٍ يُباع ويُشترى. يجب أن أستحقَّ مكاني، لهذا إذا قاتلت ببسالة فلربما يضمُّني بعض اللوردات لمنازلهم، سأركب مع النُبلاء، وأتناول اللحوم الطازجة كل ليلة في قاعة القلعة، أرفع رايتي الخاصَّة في البطولات، لكن أوَّلاً، يجب أن أقاتل ببراعة. وعلى مضض، أدار ظهره عن أرض البطولة، وقاد جياده إلى الأشجار.

على طرف المرج الكبير، على بُعدِ نصف فرسخٍ من البلدة والقلعة، وجدَ مُنخَفضاً تتجمّع فيه المياه مكوّنةً بركةً عميقة تُحيطها القصبات على حافتها مع شجر الدردار الطويل، كان العشب الربيعيّ أخضَر يانعاً كرايات الفُرسان وناعم الملمس. كان موضِعاً بديعاً وليس هناك أحدٌ بعد. *هنا ستكون خيمتي*، قال دانك لنفسه، *خيمةٌ مسقوفةٌ بأوراق الأشجار أنضَر خُضرةً من راية آل تارلي وآل إستيرمونت.*

نظَّفَ خيوله بدايةً، ثم تجرّد من ملابسه وخاض في البركة ليُنظِّف نفسه من وعثاء السفر، كان الرجل العجوز دائماً يقول: «الفارس الحقيقيّ نظيفٌ كالآلهة»، مُصِرَّاً على أن يستحمُّوا من رأسهم حتى أخمص قدميهم في كُلِّ مرَّة يُكمل فيها القمر دورة كاملة، سواءً أكانت رائحتهم كريهة أم لا. والآن بعد أن صار فارساً، تعهّد أنه سيفعل الشيء نفسه.

جلسَ عارياً تحت الدردار ريثما يجفِّف نفسه، مستمتعًا بدفء هواء الربيع على جلده بينما كان يشاهد اليعسوب يتنقّل بتكاسل بين القصب، تسائل: *لماذا تُسمّى بـحشرة التنين؟! رغم أنها لا تشبه التنانين إطلاقاً.* ولا يعني هذا أن دانك قد رأى تنِّيناً من قبل، لكن العجوز رأى أحدها. سَمِع دانك القصة منه نصفَ مائة، عندما كان السير آرلان مُجرّد طفلٍ واصطحبه جدّه إلى كينغز لاندينغ، وكيف رأوا آخر تنِّين أنثى هناك في العام السابق لوفاتها، كانت خضراء اللون، صغيرة الحجم ضعيفة الجناحين، لم تفقس ولا بيضة لها، استذكر ما كان يقوله العجوز: «يقول البعض أن الملك إيغون قد سمّمها. إيغون الثالث، ليس والد الملك ديرون، بل إيغون الذي أطلقوا عليه اسم إيغون التنين الملعون، أو إيغون المنحوس. كان يخاف التنانين، لأنه رأى وحشَ عمّه يلتهم والدته. صار الصيف أقصر منذ موت آخر تنّين، والشتاء أطول وأكثر قسوة».

بدأ الهواء يبرد عندما احتَجبت الشمس خلف الأشجار، حينها أحسّ بقشعريرة بذراعه، فأخذَ سترته وملابسه من على جذع شجرة الدردار ونفضها ليزيل عنها الغبار وارتداهم مرّةً أخرى. الآن، بحلول الغد، سيبحث عن وكيل البطولة لتسجيل اسمه، لكن أولاً كانت لديه بعض الأمور عليه إنجازها لو أراد المشاركة فيها.

لم يكُن بحاجةٍ لتأمّل انعكاسه في الماء ليُدرك أنه لم يكن يُشبه الفارس كثيراً، لذلك رمى درع السير آرلان خلف ظهره ليظهر الرمز. ربط الخيول، وتركها لترعى الأعشاب الكثيفة تحت الدردار، وانطلق سيراً على قدميه إلى أرض البطولة.

في الأيام العاديّة، كان المرج أرضاً مشاعاً لسُكَّان بلدة آشفورد عبر النهر، لكن الآن تم تحويلها، وظهرت بلدةٌ أخرى بينَ عشيَّة وضحاها، بلدةٌ من الحرير بدلَ الحجر، بلدةٌ أكبَر وأجمل من شقيقتها الكبرى. أقام العشرات من التجار أكشاكهم على طول طرف المرج، يبيعون الأقمشة والفواكه، والأحزمة، والأحذية، والجلود، والأواني الفخارية والقصديريِّة، والأحجار الكريمة، والتوابل، والملابس الخفيفة، وجميع البضائع الأخرى. كما تجوَّل البهلوانيِّون ومحرِّكوا الدمى والسحرة بينَ الحشود يُمارسون ألاعيبهم، بالإضافة إلى العاهرات والنشَّالون. فقبضَ دانك بشدَّة على جراب نقوده.

بدأ لعابُه يسيل حينَ اشتمّ رائحة السُجقّ فوق النار المُدخّنة، اشترى واحدةً بقرشه النُحاسيّ وقرنَ نبيذ للترليط، وبينما يأكل شاهدَ عرضاً مسرحيّاً لفارسٍ خشبيّ يُقاتل تنيناً خشبيّاً أيضاً، كما أن محركة دمية التنّين كانت جميلة ليُشاهدها أيضاً، امرأة شابّة طويلة مع بشرة زيتونية وشعرٌ دورنيّ أسود، كانت نحيفة كرمح بدون بروز يدلُّ على نهديها، لكن دانك أحبَّ تراسيم وجهها والطريقة التي تُحرِّك بها أصابعها ليتحرَّك التنين الخشبيّ. ودّ أن يُلقي للفتاة قِرشاً نُحاسياً، لكنّه لا يستطيع، فهو بحاجة إلى كل عملة معه.

هناك حدّادوا دروعٍ بينَ التُجّار كما كان يرجو، فكان هناك تاجر تايشروشيّ ذي لحية زرقاء يبيع خوذ مُزخرفة، وخرداواتٌ جميلة ساحرة صُنعت بأشكال الطيور والوحوش مطليّةٌ بالذهب

والفضة. وفي مكان آخر، وجد صانع سيوف يبيع أنصالاً فولاذية رخيصة، وآخرٌ يعمل بإتقان أكثر من الأول، لكن ليست السيوف ما يبحث عنها.

وجدَ الرجُل الذي يحتاجه على طول الطريق المُنخَفض في نهاية الصفّ، كان على الطاولة أمامه قميص ذا حلقاتٍ حديديّة وزوجٌ من الأذرعة الفولاذيّة. تفحّصهم دانك عن قُربٍ، وقال: «أنتَ تقوم بعملٍ جيّد».

أجابه بكِبَر واضح: «الأفضل». كان الحدّاد رجلاً قصيراً لا يزيد طوله عن خمسة أقدام، لكنّه عريض الصدر والذراعين مثل دانك، مع لحيةٍ سوداء ويدٍ ضخمة.

أخبره دانك: «أنا بحاجةٍ لدرعٍ من أجلِ بطولة المباريات، درع كامل جيّد مع حامي العُنق والسَّاق وخوذة كبيرة». كانت الخوذة النصفيّة للرجل العجوز مناسبةً لرأسه، لكنّه أراد حماية كاملةً لوجهه أكثر من تلك القديمة.

حدّق فيه صانع الدروع لأعلى وأسفل: «أنت ضخم، وعندي درعٌ كبير». قام من خلف الطاولة: «أجثِ، أريد قياس تلك الأكتاف .. اووه .. وهذا العنق الثخين أيضاً». فجثا دانك. وضعَ صانع الدروع على طول كتفه قطعة من جلدٍ معقود، وشرقَ أنفه، ثُمَّ وضعها حول حلقه، وشرَق ثانيةً: «ارفع ذراعك. لا، اليُمنى». وشرقَ مرّة ثالثة: «الآن بإمكانك الوقوف». أثارت ساقه وبطّتها وسماكتها وحجم خصره المزيد من الشرقات. قال الرجل حالما انتهى: «لديّ بعض القطع القديمة ربما تكون ذات نفعٍ لك. ضع في اعتبارك أن لا شيء مطليّ بالذهب أو الفضة، مجرّد فولاذ متين وواضح. وأنا كذلك أصنع الخِوذَ بشكل الخوذ، ليست مُزخرفةً أو على شكل رأس خنزير أو فاكهة غريبة، مُجرّد خوذة تؤدّي خدمتها جيّداً بحماية وجهك إذا أُطلِقَ نحوك رمح ما».

«وهذا كُلُّ ما احتاجه». ثم سأله: «كم ثمن ذلك؟».

«ثمان مائة أيّلٍ فضّي، وهذا لأني كريمٌ نحوك».

اندَهش: «ثمان مائة!». كان أكثر مما توقّع: «قد .. قد أستطيع مقايضتك برداءٍ قديم، مصنوعة لرجلٍ أصغر .. خوذَة نصفيّة، ودرع زرديّ .. ».

قاطعه الرجل: «ستيلي بيت يبيعُ منتجاته الخاصّة فقط .. ولكن ربما يمكنني الاستفادة من المعدن. إذا لم يكن صدئًا جدًا، فسوف آخذه وأقوم بطرقِه وتشكيلِه لك مقابل ستمائة أيّل».

يُمكِن لدانك أن يطلب من بيت إعطاءه الدرع بعهدٍ موثوق منه لإعطاء النقود، لكن كان يعرف نوع الإجابة التي سيحصل عليها إثرَ هذا الطلب. رَكِب مع الرجل العجوز فترة كافية ليعرف طبائع التُجّار أنهم لا يثقون بالفرسان الجوّالين، فالقليل منهم كان أفضَل من قُطّاع الطُرق. أخيراً قال: «سوف أعطيكَ أيّلين الآن، والدرع وبقيّة النقود غداً».

تأمّله صانع الدروع للحظة وأجاب: «حسنٌ، فضّيتان لليوم، بعد ذلك أبيع صناعتي للرجل التالي».

أخرَج دانك الأيائل من جرابه، ووضعها في يد الحدّاد: «ستحصل على نقودك أعدك، أنا أنوي أن أصير بطلاً هنا».

«أحقاً؟». وأخذ القطع النقدية وأكمل: «وهل تفترض أن هؤلاء الآخرين جاؤوا جميعاً لتشجيعك؟».

***



كان القمرُ قد ظهر في الوقت الذي أدار خطواته عائداً لشجرة الدردار، ومن خلفه مرجُ آشفورد الذي أضيء بضوء المشاعل، وأصوات الغناء والضحك تنبعث خلف الأعشاب على طول الخطّ، لكنّه كان حزيناً. لم يكن يُفكّر إلّا بطريقة واحدة للحصول على المال، ولكن إذا هُزِمَ ... «نصرٌ واحدٌ هو كلّ ما أحتاجه» تمتمَ بصوتٍ عالٍ: «هذا ليسَ ثمناً كبيراً».

ومع ذلك، لم يكن الرجل العجوز ليتمنّى هذا، فلم يكُن السير آرلان قد بارز بفحله منذ اليوم الذي أطاحه فيه أمير دراغونستون في بطولة مباريات ستورمز إند قبل سنوات عديدة. كان ليقول: «ليس كل رجل يستطيع التباهي بتحطيمه سبع رماح ضد أفضل فارسٍ في الممالك السبعة، لا يمكن أن أتمنّى ما هو أفضل من هذا، فلماذا أحاول؟».

كان دانك يشكّ أن لعُمرِ الرجل العجوز دورٌ فيما فعله أمير دراغونستون، لكنّه لم يجرؤ أبداً على مُحاججته بذلك، كان للرجل العجوز كبرياءه الخاصّ في النهاية. *أنا سريعٌ وقويّ، كان يقول ذلك دائماً*، ثم قال لنفسه بعناد: *لكن ما هو صحيح بالنسبة له، ليس بالضرورة أن يكونَ صحيحاً بالنسبة لي.*

ماشياً عبر الأعشاب يلوك الأفكار في رأسه، عندما رأى وميض ضوء النار عبر الأجمة قُربّ البركة. *ما هذا؟* لم يتوقّف دانك ليُفكّر، وبسرعةٍ أصبَح سيفه في يده راكضاً بين الأعشاب. وأخرَج

سُبّةً وصياحاً، ثُم توقّف فجأة عند رؤيته للصبيّ بجانب نار التخييم: «أنت». وأنزل سيفه: «ما الذي تفعله هنا؟».

قال الصبيّ الأصلع: «أشوي سمكة، أتريد بعضاً منها؟».

«قصدي كيفَ وصلتَ إلى هنا؟ هل سرقت حصاناً؟».

«ركبتُ في الجزء الخلفي من عربة لرجل كان يجلب بعض الحملان إلى طاولة اللورد آشفورد».

«حسنٌ إذاً، من الأفضل أن تنظُر ما إذا رحل أم لا، أو ابحث عن عربةٍ أخرى، فأنا لن أكون هنا».

أجاب الصبيّ بوقاحة: «لا يمكنك إجباري على الرحيل، لقد سئمتُ ذلك النزل».

حذّره دانك: «لن أصبِرَ على وقاحتك مجدداً، يجدر بي إلقاؤك فوق حصاني وإعادتك للمنزل».

«إذاً عليك السفر طول الطريق إلى كينغز لاندينغ، وعندها ستفوّت البطولة».

كينغز لاندينغ. للحظةٍ فكّر دانك أن الفتى يسخر منه، لكن من المُحال أن يعرَف أنّ دانك قد وُلِد في كينغز لاندينغ أيضاً. *صعلوك آخر من قاع البراغيث، من ذا يلومه لرغبته في الخروج من ذلك المكان البائس؟!*



شعر بحماقتِه عندما رأى نفسَه واقفاً وبيده سيفُه أمام صبيّ يتيم ذو ثمانِ سنوات. غَمَد السيف، ونظَر للصبيّ بسخط ليعَلم أنه ما يزال لن يسمح له بالتمادي عليه مجدداً. *وجبَ عليّ أن أضربه على الأقل،* فكّر دانك بذلك، لكن الطفل بدا مثيراً للشفقة لدرجة أنه لم يستطع فعل

ذلك. نظر حوله، كانت النار مُشتعلةً بشكل جيّد داخل دائرةٍ مُرتّبة من الصخور، وقد نُظّفت الخيول بالفرشاة، وكانت الملابس تتدلى من الدردار وتجف فوق النيران، لكنَّه سأل: «ماذا تفعل الملابس هنا؟».

أجاب الصبيّ: «لقد غسلتُهم، واعتنيتُ بالخيول، وأشعلتُ النار، وأمسكتُ بهذه السمكة، وكنتُ سأرفع رايتك ولكني لم أجدها».

«تلك هي رايتي». ورفع دانك يده إلى أعلى مُشيراً إلى شجرة الدردار الطويلة والسّماء من فوقهم.

قال الصبيّ بغير اهتمام: «إنها شجرة».

«وهذا هو كلّ ما يحتاجه الفارس الحقيقيّ، لقد نمتُ تحت النجوم أكثر بكثير من نومي داخل خيمة مليئة بالدُخان».

«وماذا لو أمطرت؟».

«الشجرة ستحميني».

«الأشجار تُسرّبها».

ضَحِكَ دانك: «معك حقّ، لأكون صريحاً، فأنا أفتقر للنقود في مُعظَم الأحيان .. ومن الأفضل أن تقلِب تلك السمكة للجانب الآخر أو أنّك ستحرق الجانب الأسفل ويبقى الجانب الآخر نيئاً. لن تصبح أبداً طاهياً هكذا».

أجاب الصبيّ: «سأفعل عندما أريد». ولكنّه قلب السمكة على الرغم من ذلك.

سأله دانك: «ما الذي حدثَ لِشعرك؟».

«حلقه المايستر». وفجأة، رفع قلنسوة رداءه البنيّ بخجل وغطّى رأسه.



سمَع دانك أنهم يقومون بفعل ذلك أحياناً لعلاج القمل وبعض الأمراض الأخرى: «لمَ؟ هل أنتَ مريض؟».

«لا». أجابه ثُمّ سأله: «ما هو اسمك؟».

«دانك».

ضَحِك الشقيُّ بصوتٍ عالٍ، كما لو أنها أطرف دعابة سمعها على الإطلاق: «دانك؟ سير دانك؟ هذا ليسَ اسم فارس حقّي، هل هو اختصار لـ دانكين؟».

أهو كذلك؟ كان الرجل العجوز يُناديه بهذا الاسم فقط، ولا يتذكّر أيّ شيء عن حياته قبل ذلك، ثُمَّ أجاب: «نعم ... سير دانكين الــ ... » تذكّر أنه لم يملك قطّ اسماً آخر ولا أيّ منزلٍ ينتمي إليه. وجده السير آرلان يعيش متسوّلاً في حارات وأزقّة قاع البراغيث في كينغز لانديغ، لم يعرف قطّ أبيه أو أمه، *الآن ماذا عليَّ أن أُجيب؟ السير دانكين البراغيثي؟ لا يبدو اسماً لفارِس، قد أقول بينيتري، لكن ماذا لو سألوني كيف هيَ؟ لم أكُن في بينيتري من قبل، كما أن الرجل العجوز لم يتحدّث عن موطنه كثيراً.* عبَس للحظة، ثم أكمل: «سير دانكين الـــطـــويـــل». لقد كان طويلاً حقاً، لا أحد يمكن إنكار ذلك، وقد بدا الاسم مهيباً.

فكّر المتسلل الصغير وقال: «لم أسمع أبداً بهذا الاسم».

«وهل سمعتَ بكلّ الفرسان في الممالك السبعة؟».

نظر إليه الصبيّ بجرأة: «الجيّدون منهم».

«أنا جيّد كبقيّة الفرسان، وبعد دورة المباريات سيعرفني الجميع. على كل حال، هل لديك اسمٌ أيها اللص؟».

تردد الصبيّ، وأجاب: «إيغ/بيضة».

لم يضحك دانك، رأسه كالبيضة فعلاً، *يُمكن للصبيان أن يكونوا قُساة كالكبار*: «إيغ .. يجب عليّ أن أُدميكَ وأبعدك عن طريقي، لكن الحق يُقال، ليس لديّ راية وليس لديّ مُرافق أيضاً. لذلك، إذا أقسمت بفعل ما آمُركَ به، سأدعك تُرافقني خلال البطولة. وبعد ذلك سنرى. إذا قررتُ أنك تستحق مُرافقتي، ستجد ملابساً تُغطّي ظهرك، وطعاماً يملأ بطنك. قد تكونُ الملابس خَشِنة والطّعام مالِح، وقد نحصل على لحمِ غُزلانٍ من حين لآخر، لكنّي أعدك، لن تشعُرَ بالجوع إطلاقاً، ولن أضرِبَك إلا عندما تستحقّ ذلك».

ابتَسم إيغ: «حسنٌ يا سيّدي».

صحّح دانك: «بل سير، لستُ سوى فارسٍ متجوّل». تساءل إذا ما كان الرجل العجوز قد نظَر إليه باحتقار، *سأعلّمه فنون القتال، كما علّمتني أنتَ يا سيّدي. يبدو صبيّاً واعداً، ومن المحتمل أن يصير يوماً ما فارساً.*

كانت السمكة لا تزال نيئة قليلاً من الداخل عندما أكلوها، لم يُزِل الصبي جميع الحَسَك، لكن ما زال السمك أفضل من لحم البقر المُملّح.

سُرعان ما نام إيغ بجانب النار المُنطفئة، أما دانك استلقى على ظهره قريباً منه واضعاً يديه الكبيرتين خلف رأسه ويُحدّق في سماء الليل. كان بإمكانه سماع الموسيقى تنبعث من مكان باتجاه أرض البطولة على بُعد نصف فرسخٍ تقريباً. كان هناك آلاف مؤلّفة من النجوم باتّساع السماء، وبينما كان يتأمّلها سقط شهابٌ ما مع ذيلٍ أخضر لامع عبرَ السماء السوداء، ثُمَّ اختفى.

شهابٌ ساقط يجلبُ الحظّ لمن يراه، والباقونَ جميعهُم في خيمهم يُحدّقون في الحرير بدل السماء، يبدو أن الحظّ لي وحدي فقط.

***

في الصَّباح، استيقَظ دانك على صوتِ صياح الدِّيَكة، كان إيغ لا يزال هنا مُدَثِّراً نفسه بثاني رداءٍ مُفضّل للرجل العجوز. *إذاً لم يهرب الفتى خلال الليل، هذه بداية جيّدة.* نكزه بقدمه ليوقظه: «استيقظ، هناك ما علينا القيام به». نهضَ الصبيّ بأسرع ما يمكنه، وفركَ عينيه. أخبره دانك: «ساعدني على سرجِ حلوة الأقدام».

«ماذا عن الإفطار؟».

«هناك لحم بقرٍ مُملّح، بعد أن ننتهي».

«سآكل الحصان يا سيّدي».

«بل ستأكل صفعةً إذا لم تفعل ما آمرك به. اجلِب الفُرشاة، موضوعة في جراب السرج .. نعم هذه».

وقاما معاً بتنحية رداء المهرة المُحمرّ، وثبّتا أفضَل سرج لدى السير آرلان على ظهرها وربطاه بإحكام، لاحظ دانك أن إيغ كان جيداً في ذلك بمجرّد أن وضع عقله في رأسه.

قال دانك وهو يصعد: «أتوقّع أني سأغيب مُعظَم اليوم، عليكَ البقاء هنا والعناية بالمُخيّم، تأكّد من عدم وجود لصوص في الجوار».

سأله إيغ: «أيمكنني الحصول على سيفٍ لأطردهم؟». رأى دانك عينيه الداكنتين المائلتين للأرجوانيّ، جعلها رأسه الأصلع تبدوان أكبر بطريقة ما.

أجاب: «لا، السكّين يكفي. ومن الأفضل لكَ أن تكون هنا حينما أعود، هل تسمعني؟ اسرقني واهرب، وسترى كيف أطاردك، أقسم أني سأطاردك بالكلاب».

أشار إيغ: «ليسَ لديكَ أيُّ كلاب».



«سأحصُل عليها، من أجلكَ». ثُم أدار رأس حلوة الأقدام نحو المرج، وانطلق بهرولةٍ سريعة على أمل أن يكون هذا التهديد كافياً لإبقاء الصبيّ صادقاً. فباستثناء الملابس التي يرتديها، والدروع التي يحملها، والمهرة التي يركبها، كانت كُلّ أمتعته في المُخيّم، فكّر دانك، *إنها حماقةٌ أن أثِقَ بالصبيّ فوراً، لكن هذا ما فعله العجوز معي، لابدّ أن الإلهة الأم أرسلته إليّ كنوع من تسديد الدَين.*

بينما كان يعبُر الحقل، سَمِع طرقَ المطارق قرب ضفّة النهر. حيث كان النجّارون يُثبّتون مسامير الحواجز ويرفعون منصّة المشاهدة. ورأى بعض الرايات الجديدة في الأفق أيضاً، بينما كان الفرسان الذين قدموا باكراً نائمون أو يتناولون الإفطار، كما اشتمّ دانك رائحة الحطب ولحم الخنزير المُملّح أيضاً.

تقع البلدَة والقلعة وراء مُسطّح المياه إلى شمال المرج حيث يتدفّق نهر كوكلسوينت أحد فروع نهر الماندر العظيم، كان دانك قد رأى العديد من الأسواق من بلدات مختلفة خلال رحلاتِه مع العجوز، لكن هذا السوق كان أجمل من مُعظمها، كان تخطيط المنازل المطليّة بالأبيض ذات الأسقف القشيّة عُنصراً مهماً في إضفاء الجمال، لطالما تساءل كثيراً في صِغَره عمّا سيكون شعوره لو عاش بمكانٍ كهذا، أن ينام كُل ليلة وسقف فوق رأسه، ويستيقظ كُلّ صباح ليجد الجُدران تحيط به. *قد يحدث ذلك قريباً .. نعم .. ولِ إيغ أيضاً .. الأشياء الغريبة تحصل كُلّ يوم.*

قلعةُ آشفورد كانت قلعةً ذي هيكلٍ حجريّ مُثلّث الشكل، مع أبراجٍ مُراقبة ثخينةٍ تُحيط بها ترتفع لثلاثين قدماً ذات فتحاتٍ على جدرانها. حلّقت الرايات البرتقاليّة عالياً على الأسوار تعرِض شمساً وشريطاً عسكريّاً أبيضاً رمز آل آشفورد. وقف رجال يرتدون ملابس باللونين

البرتقالي والأبيض خارج البوابات وهم يشاهدون الغادي والرائح ويسخرون بالتحديد من بائعة حليب جميلة أكثر من غيرها من الناس. كبَح دانك غضبه أمام قائدهم الرجل القصير المُلتحي وطلب منه اصطحابه إلى وكيل المباريات لتسجيل اسمه.

«يُدعى بالمر، وهو الوكيل هنا، الحق بي».

أخذَ صبيّ الإسطبل حلوة الأقدام في الساحة الداخليّة، وعلّق دانك درع السير أرلان المكسور على كتفه وتَبِع قائد الحرس خلف الإسطبلات وصولاً إلى بُرج مُلاصِق لزاوية سور القلعة ليصعدوا الدرجات الحجريّة شديدة الميلان، «هيّا ادخل، أتريد تسجيل اسم سيّدك؟». سأله القائد أثناء صعودهم.

«بل تسجيل اسمي أنا».

«حقاً؟». أكان الرجل يسخر منه؟ لم يكُن دانك مُتأكداً. «ادخل من هذا الباب، سأتركك الآن وأعود إلى موقعي».

عندما دفع دانك الباب، كان الوكيل جالساً على منضدة يشطِب شيئاً ما من مخطوطةٍ بريشته، كان لديه شعرٌ رماديٌّ خفيف ووجه حادٌ مثلث. «نعم؟». قال له وقد رفَع بصره: «ماذا تريد يا رجل؟».

أفلَت دانك الباب، وأجاب: «هل أنت بالمر وكيل التسجيل؟ أنا هنا للبطولة، لتسجيل اسمي في اللائحة».

زمّ بالمر شفتيه: «دورة ألعاب اللورد للفُرسان، هل أنت فارس؟ فارسٌ مع اسم ربما؟».

أومأ برأسِه مُتسائلاً عمّا إذا صارت أذنيه حمراوين: «دانك هو اسمي». لماذا قال ذلك! «أعني .. السير دانكين الطويل».

«ومن أين قدمت أيها السير دانكين الطويل؟».

«من كُلِّ مكان، لقد كنتُ مُرافقاً للسير آرلان البينيتري منذ كنتُ في الخامسة أو السادسة من عمري. هاك، هذه درعُه». وأراها للوكيل وأكمل: «كان قادماً للمشاركة أيضاً، لولا أنه أُصيب بالحُمّى وتوفّي في الطريق، لذلك أنا هنا بديلاً عنه. وكان قد نصّبني فارساً قبل رحيله بسيفِه الخاصّ». وسحب دانك السيف الطويل ووضعه على الطاولة الخشبية المكسورة بينهما.

لمَح بالمر السيف بطرف عينه: «إنّه سيف بالتأكيد، ولكنّي لم أسمع بالسير آرلان البينيتري من قبل، قلتَ أنك كنت مُرافقاً له؟».

«دائماً كان يقول أنّي سأصبُح فارساً مثله، وقبل وفاته، أمرني بجلبِ سيفه ثُمَّ طلب منّي الركوع على رُكبَتيّ، ووضع السيفَ على كتفي الأيمن ثُمَّ الأيسر، وتفوّه ببعض الكلمات، وحين وقفت أخبرني أنّي أصبحتُ فارساً».

«هفف». فرَك الوكيل أنفَه ثُمَّ قال: «يستطيع أيُّ فارسٍ تنصيب غيره كفارس هذا صحيح، على الرُغم أنّه من العادة أن يقف الرجل المُنصَّب أمام سيبتون ويقرأ عليه عهوده كفارس. على كُل حال، هل كان هناك أيُّ شهود على تنصيبك؟».

«فقط أبو الحنّاء كان يُشاهدنا من فوق الشجرة، سمعتُ زقيقه حين كان الرجل العجوز يُردد الكلمات. أخذَ عليَّ عهداً أن أكون فارساً خيِّراً وصادقاً، وأمتَثِل للآلهة السبعة، وأدافِعَ عن الضُعفاء والأبرياء، وأخدِمَ سيّدي بإخلاص، وأدافعَ عن المملكة بكل ما أملكِ من قوّة، وقد أقسمتُ على ذلك».

«بلا شكّ». لم يُنادِه بالمر بـ سير، وقد لاحظ دانك ذلك. «سأحتاج للتشاور مع اللورد آشفورد، هل سيتعرّف عليك الفرسان المجتمعون هنا أو على سيّدك الراحل؟».

فكّر دانك للحظات: «رأيتُ خيمَةً تعلوها راية آل دونداريون، البرق الأرجوانيّ بخلفيّةٍ سوداء، صحيح؟».

«إنه السير مانفريد من ذلك المنزل».

«السير آرلان خدَم اللورد الأب في دورن، قبلَ ثلاث سنوات، ربما سيتذكَرني السير مانفريد».

«أنصَحُكَ بالتحدّث معه، وأحضره إلى هنا في الغدّ بنفس التوقيت هذا إذا كان سيشهَدُ لك».

«كما تقول يا سيّدي». واستدار لفتح الباب.



«يا سير دانكين». ناداه المُتعهّد من خلفه، فالتَفت دانك عائداً. «هل لديكَ علمٌ بأن أولئك الذينَ يخسرون في البطولة تُرَهن أسلحَتُهم ودروعهم وخيولهم على حساب المُنتصرين، ويجب أن يدفعوا فديةً كي تعود إليهم؟».

«أعلمُ هذا».

«وهل لديك نقود تكفي لدفع الفدية؟».

الآن أدرك أن أُذنيه حمراوتين: «لن أحتاج نقوداً». وكان يدعو أن يكون هذا صحيحاً، فكلُّ ما يحتاجه هو انتصارٌ واحد. *إذا انتصرتُ بنزالي الأوّل، سأحصل على درع وخيل الخاسر أو ذهبه، وهكذا أستطيع الوقوف بنفسي.*

نزلَ الدرجات بِبُطء مُتسائلاً عمّا يجب فعله تالياً، وحينَ وصوله للساحة تكلّم مع أحدِ صبيان الإسطبل: «يَجُب أن أتحدّث مع قيّم الخيول لدى اللورد آشفورد لأجل البطولة».

«سأبحثُ لكَ عنه».

كان الجوّ بارداً ومُعتماً في الإسطبلات، انطلقَ فحلٌ رماديّ بجانبه أثناء مروره، وصولاً إلى حلوة الأقدام التي مسّ أنفها بهدوء مُمرراً يده على وجهها. وتمتم: «يالك من فتاة جيّدة. صحيح؟». كان العجوز دائماً يُخبره أن على الفارِس أن لا يتعلّق بحصانِه أبداً، فكثير منهم سيموت تحت قيادته، لكنّه لم يُنفّذ أقواله أصلاً، كثيراً ما كان دانك يراه يُنفِق أمواله الأخيرة لشراء تُفاحٍ للكستنائيَّة العجوز، أو بعضاً من الشوفان لحلوة الأقدام ورعد. كان السير آرلان يركب المُهرة للسفر، وقد حمَلتُه بلا كللٍ لآلاف الفراسخ حول الممالك السبعة. شَعرَ دانك أنه يخون صديقه القديم، ولكن ماذا يمكن أن يفعل؟ كانت الكستنائيّة عجوزاً جداً عن القيام بأيِّ شيء، أما رعد سيُشارك بالنزال.

مرّ بعضُ الوقت قبل أن يأتي قيّم الخيول، وبينما كان ينتظر، سَمِع دانك أصوات الأبواق من خلف الجدران وجَلَبةً في الساحة. شعَر بالفضول، وقاد حلوة الأقدام إلى باب الإسطبل ليرَى ما كانَ يحدُث. تدفقت مجموعة كبيرة من الفرسان ورماة السهام عبر البوابات، مائة رجل على الأقل، راكبين بعضًا من أجمَل الخيول التي شاهدها دانك على الإطلاق. لوردٌ كبير ما قَدِم. وأمسَك يد صبيّ الإسطبل الذي بدأ بالركض أمامه: «من هؤلاء؟».

نظرَ إليه الصبيّ بغرابة: «ألا ترى الرايات؟». وانتَزع يده وانطلق.

الرايات ... أدار دانك رأسه نحوها، كانت الرياح تُحرّك الرايات السود فوق السارية الطويلة، وبدا أن التنّين الرهيب لعائلة التارجاريان ثُلاثيّ الرؤوس يُحلّق بجناحيه ويتنفُث النار القرمزيّة. كان حامل الراية فارسًا طويل القامة يرتدي درعًا أبيض اللون مطليّاً بالذهب، عباءة بيضاء نقية تتدفق من كتفيه، وكان اثنان من الفرسان الآخرين مدرعين باللون الأبيض من الرأس حتّى أخمَص القدمين أيضًاً. الحَرسُ الملكيّ مع حَمَلةِ الراية الملكيّة. لا عَجَب أنّ اللورد آشفورد وأبناؤه جاؤوا مسرعين لاستقبالهم أمام أبواب القلعة، مع ابنته الجميلة، تلك الفتاة القصيرة بشعر أصفر ووجه دائري وردي.

فكّر دانك، *مُحرّكة الدُمى كانت أجمَل.*

«يا فتى، دعك من هذا الحصان الرديء، واعتنِ بحصاني».

ترجّل الراكِب أمام الإسطبلات. وأدركَ دانك أنه يتحدّث معه: «أنا لستُ صبيّ إسطبلٍ يا سيّدي».



«أنا ذكيٌّ لمعرفة هذا». كانَ المُتحدِّث يرتدي عباءةً سوداء بأطراف من الساتان القُرمزيّ، وما تحتها كانت ثياباً ساطعة باللهب، حمراء وصفراءٌ وذهبيّة. نحيفٌ وقائمٌ كالخنجر رغمَ أنّه متوسّط الطول، وكان عُمُره قريباً من دانك، مع شعرٍ بلاتينيّ مخلوط بالفضيّ والذهبيّ ووجه منحوتٍ متعجرف بجبينٍ بارز وعظام خدٍّ حادّة وأنفٍ طويل، وبشرةٍ ناعمة باهتة بدون عيوب، وعينين بلونٍ أرجوانيّ غامق. «إذا كنتَ لا تستطيع الاعتناء بالحصان، فأحضِر لي إذاً بعض النبيذ وفتاة جميلة».

«أنا .. عذراً .. يا سيّدي لستُ خادماً هنا. ليَ الشرف أن أكون فارساً».

قال الأمير: «ياللأسى، لقد انهارت الفروسيَّة إذاً». جاء بعدَ ذلك أحد صبية الإسطبل مُسرعاً، واستدار الأمير بعيداً تاركاً المهرة الجميلة معه. تنهّد دانك بعد أن نسيَ الأمير وجوده، عاد لداخل الإسطبل مُنتظراً قيّم الخيول، وقد شعَر بالسوء لظهور اللوردات مع راياتهم في القلعة.

كان ذلك الفتى الجميل المُتعجرف أميراً بلا شكّ، عائلة التارجاريان هي آخر الدماء البشرية الذين قدموا من مدينة فاليريا المفقودة عبر البحر، يتميَّزون عن باقي العوائل بشعرِهم الفضي الذهبيّ وعيونهم الأرجوانية. يعلمُ دانك أن الأمير بايلور كان أكبَر، إذاً رُبّما يكون الشاب أحدَ أبناءه، فالار ربما، الذي كان يُلقّب بالأمير الصغير لتمييزه عن والده، أو ماتاريس الأمير الأصغر، كما سمّاه مُهرّج اللورد سوان العجوز مرّة. وكان معهم أمراء آخرون كذلك، أبناء عمومة فالار وماتاريس، كان للملك دايرون أربعة أبناء بالغين، ثلاثةٌ منهم لديهم أبناء أيضاً. كادت سُلالة التنّين أن تنقرض في أيّام والده. لكن داريون الثاني وأبناءه حافظوا على سلامتهم كل تلك السنين.

«أنتَ يا رجل، هل طلبتَ رؤيَتي؟». كان لقيّم الخيول لدى اللورد آشفورد وجهٌ مُحمر مع شعرٍ برتقاليّ زادَه احمراراً أيضاً. «ما هذا؟ ليسَ لديّ وقتٌ ...»

قاطَعُه دانك بسرعة قبل أن يصرِفه الرجُل: «أريدُ بيعَ هذه المهرة، إنّها جيّدةٌ، مع أقدامٍ ...»

«ليسَ لديّ وقتٌ لهذا، أخبرتك». ثُمَّ ألقى بنظرةٍ سريعة على المَهرة وأكمل: «اللورد آشفورد لا يحتاج إليها. خُذها إلى سوقِ البلدة، رُبما سيأخذها السائِس هينلي بأيّلٍ أو ثلاث». والتَفتَ مُسرعاً كما أتى.

«شكراً يا سيّدي». وسأله دانك قبلَ أن يبتعد: «هل أتى الملك يا سيّدي؟».

ضَحِكَ قيّم الخيول: «لا، والشُكر للآلهة. هجوم الأمراء هذا كافٍ فقط. كيفَ سآوي كل هذه الحيوانات؟ وأينَ سأجد العلف؟». وانطلق وهو يصرُخ بصبيانِه.

ومع مغادرة دانك للإسطبل، كان اللورد آشفورد قد اصطَحب ضيوفَه الأمراء إلى القاعة الرئيسيّة، لكن بَقِيَ اثنين من الحرس الملكيّ بدروعِهم البيضاء وعباءتهم الثلجيّة في الساحة يتحدّثون مع قائد الحرس. توقّفَ دانك أمامهم: «أستميحكم عُذراً سيّداي، أنا السير دانكين الطويل».



أجابَه ذا الحجم الأضخم من الفرسان البيض: «أهلاً بكَ سير دانكين، أنا سير رولاند كريكهول، وهذا أخي في القسَم السير دونيل الداسكِنداليّ».

كانَ فُرسان الحَرس الملكيّ هم أفضل المُحاربين في الممالك السبع والأكثر إلهاماً، يخدمون فقط وليّ العهد بايلور بريكسبيير تارجاريان بنفسه. سأل دانك بقلق: «هل أتيتُم لتسجيل اسمائكم؟».

أجابَه السير دونيل ذا الشعر واللحية الحمراء: «لن يكونَ من اللائق لنا أن نُنازِل من أقسمنا على حمايَتهم».

وأوضَح السير رولاند: «الأمير فالار يتشرّف بأن يكون واحداً من المُبارزين في دورة أبطال الليدي آشفورد، واثنين من أبناء عمومَتِه كذلك. أما بقيّتنا جاؤوا ليُشاهدوا النزال فحسب».

شكر دانك الفرسان البيض على لطفهم وخرج عبر بوابات القلعة قبل أن يُقرّر أميرٌ ما القدومَ أيضاً. *ثلاثُ أمراء.* فكّر وهو يُدير المهرة نحو شوارع بلدة آشفورد، كان فالار هو الابن الأكبر للأمير بايلور، وليّ العهد الثاني للعرش الحديديّ، لم يعرِف دانك مقدار براعتِه في استخدام الأسلحة التي ورِثَها عن والده، أما عن الأميرين الآخرين فهو لا يدري شيئاً تقريباً. *ماذا سأفعَل إذا اضطررتُ لنزال أميرٍ ما؟ هل سيُسمَح لي أصلاً بنزال الطبقة النبيلة هذه؟* لم يكُن يعرف الجواب. لطالما كان الرجل العجوز يقول أنَّ عقلَه أسمَك من جُدران القلعة، والآن شعر دانك بهذا.

أُعجِبَ هينلي بحلوة الأقدام كثيراً قبل أن يسمَع من دانك أنه يُريد بيعها، هنا بدأ جميع المُقيّمين بإظهار عيوبها، حتّى قدَّمَ عرضاً بـ ثلاث مائة أيّل فضّي، لكن دانك رفَض وقال أنّ سعرها يجب أن يكون ثلاثة آلاف، وبعد الكثير من الجِدال والشتائم، استقرّوا على سِعر سبع مائة وخمسين أيّل. كان السِعرُ النهائيّ أقرَب للسعر الذي عرضَه هينلي عن الثلاث آلاف التي طالب بها دانك، مما جعله يشعُر بالخسارة منها، لكن هذا الرجل لن يزيد السعر أكثر، لذلك لم يَكُن أمامَه خيار آخر سوى الاستسلام والقبول. وبدأ الجدال مرّةً أخرى حينما أعلَن دانك أن السِعر لا يشمَل السرج، وهينلي أصرّ بعكس ذلك.

غادَر هينلي لجلبِ النقود بعد أن اعتمدا السِعرَ وتمَّت البيعة. وبقيت حلوة الأقدام مع دانك الذي ملَّس بيده على لِبدَتِها وأخبرها أن تظلَّ شُجاعة: «إذا انتصرت، سوفَ أشتريكِ مرّةً أخرى. أعدكِ لهذا». لم يكُن لديه شكٌّ أن عيوبها ستختفي حين يريد شرائها مرّةً أخرى، وسوف تُساوي ضعفَ المَبلغ الذي باعها به اليوم.

أعطاه السائس ثلاث قطعٍ ذهبيّة والباقي من الفِضّة. عضَّ دانك العُملَة الذهبيّة وابتسم، لم يتذوّق الذَهب من قبل أو يتعامَل به. كان الرجال يُطلقونَ عليها اسم عُملّة "التنّين"، حيثُ تمّ صكّ العملة بختم ورمز آل تارجاريان التنّين ثُلاثيِّ الرؤوس على أحد الجانِبَين، وعلى الجانِب الآخر ظِلُّ مَلكٍ ما. اثنان من الثلاث عُملات الذهب التي أخذها من السائِس كان منقوشاً عليها وجه الملك دايرون ، الثالِثَة كانت أقدم ومُهتَرئة أكثر، ونُقشَ عليها وجه رجلٍ آخر، كان اسمُه مكتوباً تحت رأسِه، لكنّ دانك لا يستطيع قراءة الحروف. لاحَظ أنَّ الذَهب معوّجٌ من أطرافِه، وأشأرَ إلى هينلي. تذمّرَ السائِس، لكنّه أبدَلها بعملاتٍ فضيّة وحفنة من النُحاس. وأرجَع دانك بعض العُملات النحاسيّة إليه، وأومأ برأسِه لحلوة الأقدام: «هذه لها، بعضُ الشوفان الليلة وتفّاحةٌ كذلك».

وانطَلق ماشياً في شوارع بلدَة آشفورد برفقَة الدرع القديم وجراب النقود المُمتلئ الذي أشعَره بالغرابة، فلَم يُسلِّمه الرجل العجوز أكثَر من أيّلٍ أو أيّلين في وقتٍ واحد. *أستطيع العيشَ لعامٍ كامل مع هذه النقود. لكن بعدها ماذا سأفعل؟ أبيعُ رعد؟ هذه ليسَت طريقة عيشِ الفُرسان، وستنتهي بي كمتسوّل أو قاطع طريق. إنّها فرصة لن تأتي مُجدداً وعليّ أن أُخاطِر بكل ما أملك.*

كانَت الظهيرةُ قد حلَّت تقريباً حين عبرَ دانك الضفّة الجنوبية لنهر كوكلسوينت وعادت الحياة إلى مرجِ آشفورد. بدأ البائعون ببيع بضاعتهم من النبيذ والسُجق وخِلافه، ورأى دُبّاً راقصاً مع مُدرّبه الذي يُغنّي أغنيَة "الدب والعذراء الجميلة"، ولاعبوا الخِفَّة يؤدّونَ عُروضَهم، ومُحرّكوا الدُمى ينتقلون من مسرحيّةٍ إلى آخرى.

توقّفَ لمشاهدةِ العرض، حيثُ قام الفارس الخشبيّ بقطع رأس التنّين الخشبيّ وتناثَرت نُشارَة الخشب الأحمر على الأرض وسط ضَحِك وتصفيق الجمهور، وضَحِك هو بدوره وألقى بُعملَتين نُحاسيّتين للفتاة قائلاً: «واحدة إضافيّة لليلة الماضية». والتَقطتهما من الهواء بابتسامة تعلو وجهها لم يَر دانك أجمَل منها من قبل.

أكانَت تبتَسِم لي أم للنقود؟ لم يسبِق لدانك أن كان مع فتاةٍ من قبل مما جعله يَشعُر بالتوتّر. ذات مرّة، قبل ثلاثة سنوات، حينما خدَم السير آرلان لدى اللورد فلورنت الأعمى نصف عامٍ كاملة وحصَل على مالٍ وفير، اقتَرح على دانك أن الوقتَ قد حان ليدخُل ماخوراً ويُصبِحَ رجلاً. كان مخموراً على أيّة حال، وحينما استفاق لم يتذكّر شيئاً، كان مُحرجاً جدّاً من هذه القصّة، ولم يَكُن واثقاً إذا كان يُريد عاهرة أم لا. إذا لم يكُن سيحصُل على فتاة عذراءَ ذات حسبٍ ونَسب كغيره من الفُرسان، فهو يُريد فتاة تُحبّه على الأقل لا أن تُحِبَّ فضّته.



سأَل فتاة الدُمى وهي تُعيد نشارة التنّين الخشبيِّ إلى دُميَتها: «أتودّينَ شُربَ النبيذ؟ معي أقصِد؟ أو نتناولُ بعضَ السُجقّ؟ لقد جرّبتُ بعضها الليلَة الماضية، كانت شهيّة. أعتقد أنّها من لحم الخنزير».

«أشكُركَ يا سيّدي، لكن لدينا الآن عرضٌ آخر». نهضَت الفتاة ورَكضت نحو الفتاة الدورنيّة الأخرى التي كانت تتحكّم بدميَة الفارِس الخشبيّ، بينما وقَفَ دانك يُشاهدها شاعِراً بغبائه. لكنّه أحبَّ مظهَرها وهيَ تركُض مُبتعدة. فتاةٌ جميلة وطويلة، لن أضّطر للانحناء إذا ما قمتُ بتقبيلِها. كان يَعرِفُ كيفَ يُقبّل بلطافة، قبلَ عامٍ قامَت فتاةٌ ما في حانةٍ في لانسبورت بتعليمه كيف يقوم بذلك، لكنّها كانت قصيرة جداً فاضُّطرتْ للجلوس على طاولةٍ للوصول لشفتيه، احمرَّت أُذناه جرَّاء تلك الذكرى، ياله من مُغفّلٍ أحمق، إنه مُبارز، ويجب أن يُفكّر بالمبارزة وليسَ التقبيل.



كان نجّاروا اللورد آشفورد يغطّون الحواجز الخشبيّة التي يصل ارتفاعُها إلى الخصر وتفصِل بين المُتبارزين. وقفَ دانك لمشاهدتهم يعملون لفترة، كان هناك خمسُ مساراتٍ شمالاً وجنوباً حتّى لا يُواجِه المبارزون الشمس أثناء غروبها، مع منصّة مشاهدةٍ من ثلاث طبقات مُغطّاء بمظلّة برتقاليّة لحماية الأسياد والسيّدات من الشمس والمطر. سيجلس أغلَبهم على المقاعد العاديّة، بينما نُصِبَت أربعة كراسي ذات ظهرٍ عالٍ للورد آشفورد وعذراءه وضيوفه الأمراء.

على الحافّة الشرقيّة للمرج، نُصِّبَ عمودُ من الخَشب المُتحرّك ودزينةٌ من الفرسان يتدربون حوله، حيثُ يقوم الفارِس مع حصانِه بالركض نحوه وضرب طرفِ الجُزء العلويّ المُقاطِع للعمود المُثبّت على الأرض فيتحرّك بشكلٍ دائريّ. شاهَد دانك وحشَ براكين يتدرّب ثمّ اللورد كارون المرشيسيّ من بعده. وفكّر دانك في نفسه قلقاً: *لستُ بارعاً مثلهم.*

وفي أماكِن أخرى يتدرب الرجال بكامِل قواهُم، بعضُهم بسوفٍ خشبيَّة، بينما وقفَ مُرافقيهم يُشاهدونهم ويصيحونَ بنصائح بذيئة، شاهدَ دانك شابّاً ممتلئ الجسم يُحاول صدَّ هجمات فارسٍ طويل عاضِل بدا سريعاً كقطٍ جبليّ، كان كِلاهُما يرتدي درعَ التُّفاحَة الحمراء لـ آل

فوسواي، لكن سُرعان ما استطاع اختراق درع الرجل القصير وتقطيعه لأشلاء. قال الطويل وهو يسدد ضربة على خوذة الآخر: «أنتَ تُفّاحة لم تنضج بعد». أُصيبَ فوسواي الأصغر بكدماتٍ دامية في الوقت الذي أعلن استسلامَه فيه. وكان الآخر قويّاً مندفعاً، فرفَع غطاء الوجه بخوذته، ونظرَ حوله، ورأى دانك وقال: «أنت هناك .. نعم .. الكبير .. فارِس الكأس المُجنَّح، هل هذا سيفٌ طويل على خاصرتك؟».

أجابَه دانك بنبرةٍ دفاعيَّة: «إنه ملكي نعم. أنا السير دانكين الطويل».

«وأنا السير ستيفون فوسواي، أمُهتمٌّ أنتَ بالتدرّب معي يا سير دانكين؟ سيكون من الجيّد أن أحظى بشخصٍ جديد لتتضارب سيوفنا معاً، فكما رأيت، ابن عمّي لم ينضج بعد».

«هيّا يا سير دانكين». قالها فوسواي المهزوم وهو يرفع الخوذة عن رأسه، وأكمل: «قد لا أكون ناضِجاً، لكن ابن عمي الناضِج هذا عفِنٌ حتّى اللُب. أخرِج هذه البذور منه».

هزَّ دانك رأسه، لماذا يُورِّط نفسه في شجار الأسياد هذا؟ «أشكُرك يا سيّدي، لكن هناك أمورٌ مهمّة عليَّ فعلُها». لم يكُن يشعر بالارتياح من حملِ كُلّ هذه العُملات، كُلّما أسرع بدفع باقي النقود لـ ستيلي بيت ليحصُل على درعه، كلُما شعر بارتياح وسعادة أكثر.

نظرَ إليه السير ستيفون بازدراء: «للفارِس المتجوّل أمور مهمة». ثُم نظر حوله ورأى شخصاً آخر يتمشّى قد يكون خصماً له، وصاح: «يا سير جرانس، مرحباً، تعال وبارزني، أعرفُ كيف أصدُّ جميع الحركات الضعيفة التي يستخدمها ابن عمّي رايمون، كما أن السير دانكين سيعود إلى التجوّل. تعال هيّا».

سار دانك مُبتعداً مُحمرَّ الوجه، لم يكُن لديه الكثير من الحركات أيضاً، ضعيفة أو غيره، لم يكُن يريد أن يراه أحد يتبارز حتَّى بدء البطولة. كان العجوز دائماً يقول أنّه متى ما عرفتَ حركات خصمِك بشكلٍ أفضل سيكون من السهل التفوّق عليه. وفارسٌ كـ السير ستيفون يملِك عيوناً ثاقبة تُمكِّنه من معرفة نقاط ضعف خصمه في لمحة. وقد كان دانك قوياً وسريعاً، ووزنه وطوله في صالحه، لكن لم يكُن يعتقد أبداً أن لديه مهارات تتقارب حتى من مهارات الآخرين. علّمه السير آرلان ما يقدِر عليه، لكن الرجل العجوز لم يكُن أصلاً من الفُرسان المعروفين العظماء حتَّى في أيَّام شبابِه. فالفُرسان العظماء في النهاية لا يعيشون حياتهم كمتجوّلين، ولا يموتونَ ويدفنونَ على طريقٍ جانبيٍّ موحِل. أكّدَ دانك في نفسه: *لن يحدُث هذا لي، سأريهم أني أكثر من مجرّد فارس متجوّل.*

«سيّد دانكين». لحقَ به فوسواي الأصغر: «ما كانَ يجب أن أحُثَك على مبارزة ابن عمّي، كنتُ غاضباً من عجرفته، واعتقدتُ أنّك كبيرٌ .. حسنٌ لقد كان خطأً منّي، أنتَ لا ترتدي درعاً، كان سيكسر يدك لو قبلتَ أو ركبتك. إنه يُحبِّ صفع الرجال في ساحات التدريب، لذلك سيكونونَ متعبينَ لاحقاً عند بدء البطولة».

«لم يكسِر لك شيئاً».

«لا .. أنا من دَمِه، رغم أنه غُصن أكبر في شجرة التفّاح هذه، كما سمعتَه، لم يتوقّف عن تذكيري بذلك. على العموم، أنا رايمون فوسواي».

«يا أهلاً. هل ستُشارك أنتَ وابن عمك في البطولة؟».

«هو سيُشارك بالتأكيد. أما أنا، هل أستطيع؟ فما أنا إلّا مُرافق له حتَّى الآن. لقد وعدني أن يُنصِّبني فارساً، لكنّه يُصرُّ على قوله أنني لستُ ناضِجاً بعد». كان لـ رايمون وجهٌ مُربعٍ مع أنفِ كالكلب وشعرٌ صوفيٌّ قصير وابتسامةٌ جذّابة. «مظهركَ كمبارزٍ حقيقيّ، من الذي ستضربه بدرعك؟».

أجاب دانك: «لا أحد، لن يُسجَّل اسمي حتى اليوم الثالث».

«وبحلول ذلك اليوم، سيكون الكثير من المبارزين قد سقطوا. حسنٌ حسنٌ، قد يبتسم الإله المُحارب بوجِهك يا سيّدي».

«وأنتَ أيضاً». *إذا كانَ هذا مجرَّد مرافق، فماذا فعلتُ لأصير فارساً؟ أحدنا أحمق.* كانت النقود ترنّ مع كل خطوة يخطوها، لكنه كان حذراً، فهو يعلم أنه قد يفقد كل شيءٍ بلحظة، ومن الغير المحتمل أيضاً أن يواجه خصماً ضعيفاً، شعرَ أن حتى قوانين البطولة ضدّه.

هناك العديد من الأشكال التي يمكن أن تكون البطولة عليه، بحسب رغبات اللورد آشفورد الذي يستضيفها، قد تكون بعضها معارك وهميّة بين عدّة فرقٍ من الفُرسان، أو اشتباكٍ جماعيّ حيث ينتصر المقاتل الذي يبقى واقفاً في النهاية. وعندما تكون النزالات فردية، يتمّ عمل قرعة لتحديد المُتبارزين.

كان اللورد آشفورد ينظِّم دورة المباريات هذه على شرفِ يوم تسميةِ ابنته الثالث عشر، ستجلِس الصبيَّة الجميلة بجانِب والدها بصفتها ملكة الحُبِّ والجَمال. مع خمسةُ أبطال يدافعون عنها، وسيتحتّمَ على المشاركين منافستُهم، وأيُّ فارس يتمكّن من هزيمة أحد الأبطال سوف يقف بدلاً عنه كبطل إلى أن يأتي أحد آخر ويهزمه. وبنهاية الأيام الثلاث للبطولة، سيُقرّر الأبطال الخمسة ما إذا كانت ستحتفِظ الفتاة بتاج ملكة الحُبّ والجمال، أو ما إذا كانت أخرى سترتديه بدلاً منها.

حدَّق دانك بالمنصّة الفارغة وبقوائم المشاركين، وفكَّر في الفُرص التي بحوزته. *انتصارٌ واحد هو كُلّ ما يرجوه، ثُمّ يُسمّي نفسَه أحد أبطال مرج آشفورد، ولو حتَّى لساعةٍ واحدة. لقد عاش الرجل العجوز ستينَ سنة تقريباً ولم يكُن بطلاً أبداً. لا يجب أن آمل كثيراً.* تذكَّر دانك جميع الأغاني التي يعرفُها والتي تُمجِدُ أبطالاً عُظماء. أغانٍ عن أبطال من أمثال الأعمى سيمون عيون النجم، والسيّد النبيل سيروين درع المرآة، والأمير إيمون فارس التنّين، والسير ريام ريدوين، وفلوريان المغفل. جميعُهم كانوا أبطالاً عُظماء حقّقوا انتصاراتٍ أفظع من أيِّ انتصارات قد يُحققها. *لكنّ الجميع كانوا سادة في الأصل. وماذا أكون أنا؟ دانكين البراغيثي؟ أو سير دانكين الطويل؟*

فكَّر بأنه سيعرف الحقيقة قريباً. حمل كيس الدروع وأدار قدميه نحو أكشاك التجار بحثًا عن ستيلي بيت.

***

كان إيغ يعمل بجدٍّ في المُخيَّم. ابتسمَ دانك، لقد كانَ خائفاً أن يهرُب هذا المُرافق مرَّة أخرى. سأله الصبيّ: «هل حصلت على سعرٍ مُنصفٍ لتلك المهرة؟».

«كيفَ علمتَ أني قد بِعتُها؟».



«غادرتَ راكِباً وعُدتَ ماشياً، إذا تمَّت سرقتُكَ فستكون غاضباً بالطبع».

«حسنٌ حسن». ثُمَّ أخرج دانك درعه الجديد ليريه الصبي: «إذا كنت تريد أن تُصبِحَ فارِساً، فيجب عليك التفريق بين الفولاذ الجيد من السيئ. انظُر هنا، هذا عملٌ جيِّد، هذا الدرع الزُردي ذو الحلقات المعدنيّة مكوّنٌ من طبقتين، كُلُّ حلقةٍ مربوطة باثنتين، أترى؟ إنها تعطي حمايةً أكثر من طبقةٍ واحدة. والخوذة أيضاً، قام بيت بثنيها من الأعلى، أترى التقوُّس؟ ومع السيف أو البلطة التي تضرِب الخوذَة بإيلام». وقام دانك بإنزال الخوذة على رأسه: «كيف تبدو؟».

أشارَ إيغ: «ليس فيها حماية».

«نعم، هناك فتحات تهوية، أما طبقة الحماية تعدُّ من نقاط الضعف». أو على الأقل، هذا ما قاله ستيلي بيت لـ دانك: «إذا كنتَ تعرف عدد الفرسان الذين قَضي عليهم بسهمٍ في أعينهم وهم يرفعون الحماية ليحصلوا على الهواء، فلن تودَّ أبداً أن تكون طبقة الحماية هنا».

ردَّ إيغ: «وليس هناك شعارٌ أيضاً فيما يبدو».

رفَع دانك الخوذة، وأجاب: «مُجرَّد خوذة عاديّة، جيّدة بالنسبة لي. أترى هذا الفولاذ اللامِع؟ ستكون مهمَّتُك هي المحافظة على لمعانِه بهذا الشكل. الآن، هل تعرف كيف تُنظّف هذه الدروع؟».

أجاب الصبيّ: «في سطلٍ من الرمل، لكن ليس لديّ سطل. بالمناسبة يا سيدي، هل اشتريت رايةً أيضاً؟».

«لم أحصُل على سعرٍ منصِف». *إن الصبيَّ قد أدَّى مهامَه بشكلٍ جيِّد، يجب أن أشكره على ذلك.* لكنَّه يعلم أنه لن يقولَ شيئاً، وقد أحبَّ جُرأته، ويجب أن يكون جريئاً مثله. *إن مُرافقي أشجع مني وأكثر ذكاءً.* أكمل دانك أخيراً: «لقد عملتَ بجدٍّ يا إيغ. في الغَد ستأتي معي لنُلقي نظرة على أرض البطولة، سنشتري الشوفان للخيول، وخبزاً طازجاً لأنفسنا، وربما مع القليل من الجبن أيضاً، كانوا يبيعون جبناً شهيَّاً في أحد الأكشاك».

«لن نحتاج للذهاب إلى القلعة، صحيح؟».

«لمَ لا؟ آمل في يوم ما أن أعيشَ بقلعة، فوق الريح، قبل أن أفنى».

لم يُعلِّق الفتى بشيء. فكّر دانك أن السبب ربما خشيته من دخول قاعة اللوردات لا أكثر ولا أقل، وسوف يكبُر ويعتاد على ذلك. ثُمّ عاد للنظر إلى درعه مُتسائلاً متى سيتمكّن من ارتداءه.

***

كان السير مانفريد رجلاً نحيلاً بوجهٍ حزين، يرتدي معطفاً أسوَداً مُطرّزاً عليه برقٌ بلونٍ إرجوانيّ رمز عائلة دونداريون، لكن دانك تذكّره من خلال شعره البرتقاليّ المائل للحمرة. قال دانك مُنحنياً على رُكبةٍ واحدة: «خدَم السير آرلان السيِّد والدك عندما قامَ هو واللورد كارون بإحراق ملك النسر في الجبال الحمراء، يا سيّدي. كنتُ صغيراً حينَ ذاك، لكنّي كنتُ مرافقاً له، أعني للسير آرلان البينيتري».

عبَس السير مانفريد وقال: «لا .. لا أعرفه، ولا أعرفك أيضاً».

أراه درعه القديمة: «انظر، هذا كان شعاره، كأسٌ مُجنَّحة».

هز السير مانفريد كتفيه قائلاً: «السيّد والدي عيَّن ثمان مائة فارِس وأربع آلاف من المُشاة تقريباً. لا تتوقَّع مني أن أتذكَّر كُلَّ واحدٍ منهم مع الشعارات التي يحملونها. ربما كنتَ معنا، ولكن ... »

استاء دانك من كلامِه. *لقد أُصيبَ العجوز إصابة بليغة في خدمة أبيه، كيف له أن ينساه*؟: «لكن يا سيّدي، لن يسمحوا لي بتسجيل اسمي مالم يشهَد لي أحد الفرسان أو اللوردات».

«وما شأني بذلك أنا؟ الآن، فلترحل، لقد أعطيتُك من وقتي الكثير يا سيّد».

عليه المحاولة، لا يجب أن يعود للقلعة بدون السير مانفريد. حدَّق دانك إلى البرق الأرجوانيّ المُطرَّز على معطف السير مانفريد الأسود، وقال: «أتذكَّرُ والدك عندما حكى في المُخيَّم كيف حصلتُم على رمز البرق هذا: في إحدى الليالي العاصفة، عندما كان جدُّكم الأكبر يوصِل رسالة عبرَ تُخوم دورن، حيثُ هُوجِم حصانُه بسهمٍ ما فوقع على الأرض، خرَج دورنيّين اثنين من مكانٍ ما من الظلام يرتديان درعاً معدنياً ذو حلقات مع خوذةٍ مُزخرفة. عندما رأى ذلك شعر أنَّـه سيموت لا محالة، حيث أن سيفه قد كُسِر أيضاً جرّاءَ السقطة، لكن ما إن وصلَ الدورنيّين لقطع رقبته، حتَّى انشقَّت السماء مُحدثةً برقاً مدوِّياً، كان ساطعاً ذا لونٍ أرجوانيّ، وامتدَّ حتّى

ضربَ درعَي الرجُلَين، وقتلهم كلاهُما حيثُ وقفوا. وبفضل هذه الرسالة، انتَصر ملك العاصفة على الدورنيين. ونُصِّبَ المرسول كـ لوردٍ تعبيراً عن شُكره. وهكذا كان، أوّل لوردٍ يحمل اسم دونداريون، واتَّخذ من البرق الأرجواني بخلفيّة سوداء مُرصّعة بالنجوم رمزاً لعائلته».

اعتَقد دانك أن ذلك سيُثير إعجاب السير مانفريد، فقد روى الحكاية بشكلٍ صحيح، لكن السير مانفريد قال: «كل صعلوكٍ وخادمة عيَّنهم والدي قد سَمِع وسيسمع هذه الحكاية عاجلاً أو آجلاً. هذا لا يجعلُك فارِساً. فلتَمضِ يا سيّد».

عادَ دانك إلى قلعة آشفورد بقلبٍ باهِت، مُتسائلاً عما يجب أن يقوله كي يُسجِل بالمر اسمه في البطولة. على كل حال، لم يكُن في حُجرَته، وقد أخبَره أحد الحرّاس أنَّه قد يكون في القاعة الكُبرى، فسأله دانك: «هل أنتظر هنا؟ متى سيعود؟».

«وكيف لي أن أعلم؟ افعل ما يحلو لك».

لم تكُن القاعة الكُبرى كبيرة حقاً نسبةً لباقي القاعات التي رآها، آشفورد كانت قلعة صغيرة على أية حال. دخَل دانك من بابٍ جانبيّ وبحث عن وكيل التسجيل فوراً. كان يقف مع اللورد آشفورد وعشرات الرجال الآخرين في مُقدِّمة القاعة. سارَ باتِّجاهِهم نحو جدار عُلِق صوف فوقه مُطّرَز عليه رسومات فاكهة وزهور.

كانَ رجلاً ما بدا غاضباً يصيح عندما اقترب دانك منهم: «أراهِن أنكم ستكونون قلقينَ أكثر إذا كانوا أبناءكم». كان شعرُه الأملس وذقنُه المربعة البيضاء تُضيء ظلمة القاعة من بعيد، ولكن عندما اقترب منه رأى أنهما في الحقيقة لون فضي باهت مع غُصلاتٍ ذهبيّة.

أجابَ شخصٌ آخر: «دايرون فعل هذا من قبل». كان بالمر واقفاً في المنتصف مما حجبَ الرؤية عن دانك. «ما كان يجب أبداً أن تأمره بتسجيل اسمه. إنه ينتمي لأرض البطولة ليسَ أكثر من إيريس أو رايجل».

ردَّ عليه الرجل الأول: «أتقصِد أنّه سيركب العاهرات أكثر من ركوب الحصان». من تحدَّث كانت هيأته هيأة أمير، ذي بنية قويّة، يرتدي سترة من الجلد المغطى بأشكالٍ فضية تحت عباءة سوداء ثقيلة مزينة بفرو القاقوم. كان وجهه مليئاً بحُبيبات جُدري قديمة لم تُغطّها لحيته الكثيفة إلّا قليلاً. «لستُ بحاجةٍ لأتذكّر إخفاقات ابني يا أخي. إنَّه في الثامنة عشر فقط، سيتغيَّر، فلتلعنه الآلهة، أو أُقسِم أني أريد رؤيتَه ميتاً».

«لا تتفوَّه بالحماقات. هذا هو دايرون، ومهما كان سيبقى من دمك ودمي. ليس لديَّ شكٌ أن السير رولاند سيُغيّره ويُغيِّر إيغون».

«حينما تنتهي البطولة، ربما».

«إيريون هنا، يستخدم الرُمح أفضل من دايرون إذا كانت البطولة هي ما تهُمّك». إستطاع دانك رؤية المُتحدِّث الآن. كان يجلِسُ على مقعدٍ عالٍ، مع حُزمةٍ من الأوراق بيده، واللورد آشفورد يحوم حوله. ورغم جلوسِه، بدا أنَّه أطول من الآخر، كان قصير القامة داكنًا ومكسوًا بالشيب، مع فكٍّ حاد حليق الذقن، وبدا أنفه وكأنَّه قد كُسِر أكثر من مرَّة، وكان يرتدي ملابس بسيطة للغاية، صدرية خضراء، وعباءة بنية، وحذاءً مُدبباً، جالساً على المقعد بهيبةٍ ووقار.

بدا وأن دانك أشرَك نفسَه في جدال لا دخل له به، *من الأفضل أن أذهب وأعود لاحقاً عندما تنتهي هذه الجَلَبة*. لكن الأوان قد فات، فقد لاحَظ الأمير ذا اللحية الفضيّة وجوده، وقال بهجوم: «من أنتَ؟ ولماذا تتنصَّتُ علينا؟».

قال الرجل الجالس مُبتسماً لـِ دانك بطريقة توحي بأنه كان يراه طوال الوقت: «إنَّه الفارس الذي توقَّع الوكيل مجيئه. نحنُ الدخلاء هنا يا أخي. اقترب يا سيّد».

تقدَّم دانك إلى الأمام غير واثق بما يحدث. ألقى بنظره على بالمر لكنّه لم يحصل على مساعدة، حيثُ وقفَ هناك صامتاً يُشاهد الموقف بعكس ما كان عليه من الشدَّةِ يوم أمس. قال دانك: «يا سيّدي، لقد طلبتُ من السير مانفريد دونداريون أن يشهَد لصالحي لتسجيل اسمي في القوائم، لكنَّه رفض. قال بأنَّه لا يعرفني. السير آرلان قام بخدمة السيد والده، أقسم لك. لديَّ درعه وسيفه. أنا ...»

«الدرع والسيف لا يصنعان فارساً». قاطعه اللورد آشفورد، وهو رجل أصلع ضخم ذا وجهٍ أحمَر مستدير: «لقد تحدَّث بالمر عنك، حتَّى لو افترضنا أن المُعدَّات هذه لـ السير آرلان البينيتري، فقد تكون قد وجدته ميتاً وسرقته. إلَّا لو كان لديك شيء آخر تُقدِّمه لنا، شخصٌ ما ربما أو رسالة ما».

«أتذكَّر السير آرلان البينيتري». قال الرجُل الجالس، وأكمل: «لم يَفُز قطَّ بأي بطولة حسب ما أعرِف، لكنَّه لم يخجل من ذلك قط أيضاً. قبل ستَّة عشر عاماً تقريباً في كينغز لانديغ، أطاح باللورد ستوكوورث ونَغِل هارنهال في نزال. وقبلها بعدَّة سنوات في لانسبورت، هَزَم الأسد الرماديّ بذاته، قبل أن يُلقّب بهذا طبعاً».

أضافَ دانك: «نعم، تحدَّث عن هذا مرّاتٍ كثيرة».

تفحّصه الرجل الطويل: «إذاً يجب أن تتذكَّر اسم الأسد الرمادي بلا شك».

للحظةٍ لم يتذكَّر دانك شيئاً، ألف مرة حكى لي العجوز هذه القصة. *الأسد الرمادي .. اسمه .. الأسد .. كان اسمه .. رمادي .. الأسد ..* كان على وشك الاستسلام عندما لمَع الاسم في رأسه، صرَخ: «السير ديمون لانستر .. هو الأسد الرماديّ، إنّه سيّد كاسترلي روك الآن».

قال الرجل الطويل بسرور: «نعم هو ذا». وهزَّ حُزمة الأوراق بيده وقال: «سجلوا اسمه في القوائم غداً».

قال الأمير ذو اللحية الفضية عابسًا: «كيفَ لك أن تتذكَّر فارساً متجوِّلاً غير معروف صادَف أن أوقَع ديمون لانستر قبل ستة عشر عاماً؟».

«لقد تعلَّمت مهارة مُلاحظة وتعلُّم كُلِّ شيء من خصومي».

«وماذا تعلَّمت من فارسٍ متجوِّل؟».

«كان ذلك قبل تسعِ سنواتٍ في ستورمز إند، في دورة مباريات اللورد باراثيون التي أُقيمَت تشريفاً لميلاد حفيده. القرعة حدّدت أن يكون السير آرلان خصمي في النزال الأول، كسرنا أربعة رماحٍ قبل أن أتمكَّن من إطاحته».

«بل سبعة». صحّحَ دانك له. وأكمل: «وكان ذلك ضد أمير دراغونستون». ما إن خرجَت الكلمات، حتَّى تمنّى لو لم يتفوَّه بها. *دانك الضانك، يااللغباء، عقلٌ سميكٌ كجدران قلعة.* كان يسمع صوتَ العجوز يوبِّخه.

«هكذا إذاً». ابتَسم الأمير بلطفٍ مع أنفه المكسور هذا: «يجب إضافة البهارات للحكايا بالطبع. لا يا سيّد دانكين، أنا واثق أنها كانت أربع رماح وحسب، لكن لا تُفكِّر بسوء بالسير آرلان».

كان دانك شاكِراً أن القاعة لم تكُن مضاءة، لابد أن أذنيه صارتا حمراوين. «يا سيّدي...» *لا، عبارة خاطئة أيضاً.* «أقصد .. مولاي» ثُمَّ انحنى على رُكبَتيه وأنزل رأسه. «كما تقول، كانت أربعة. أعني .. العجوز كان .. أقصد .. السير آرلان كان يصفني بأني بليد الفَهم سميك كجدران القلعة، وبطيء كالثيران».

أضاف بايلور بريكسبيير: «وقويٌّ كالثيران، مظهرك يوحي بذلك. لا عليك، لم يحدُث شيء يا سيّد. انهض».

وقف دانك على قدميه، متسائلاً عما إذا كان يجب عليه إبقاء رأسه منخفضًا أم أنه سُمح له بالنظر في وجه الأمير. إنني أتحدَّث مع بايلور تارجاريان المُلقَّب بـ بايلور بريكسبيير، أمير دراغونستون، يَد الملك، ووليّ العهد الوريث الشرعيّ لعرش إيغون الفاتِح الحديديّ. كيفَ يجرؤ فارسٌ متجوِّل أن يُكذِّبَ أميراً كهذا؟ قال مُتلعثِماً: «لق .. لقد أعدتَ له حصانَه ودرعَه ولم ترهَنها، بحسبِ ما أذكُر. أخبرني العجـ .. السير آرلان أنَّ روحَ الفُرسان تجري بداخلك، والممالِك السبع ستكون آمنة بينَ يديك».

قال الأمير بايلور: «أدعو أن لا يتأخر هذا الأمر كثيراً».

أجابه دانك: «نعم». وأمسَك لسانه، كاد ليقول أشياء من قبيل: لا أقصِد أن يموت الملك. لكنَّه أغلقَ فمه بالوقت المناسب. «أعتَذر يا سيّدي .. أقصِد مولاي».

وأدرَك متأخراً أن الرجل الآخر ذا اللحية الفضيّة قد خاطَبه الأمير بايلور بـ «أخي». إنّه من دم التنين أيضاً، *اللعنة على حماقتي.* ربما يكون الأمير مايكار، أصغر أبناء الملك دايرون الأربعة. كان الأمير إيريس شغوفاً بالكتب، أما رايجل فكان مجنوناً وطائشاً وسقيماً. بالتأكيد لن يرغب أيٌّ منهما بعبور نصف البلاد لحضور دورة مباريات. لكن مايكار كما يقولون مُحارب باسل، حتى ولو كان يُرافق أخاه دائماً.

سأل الأمير بايلور: «تريد تسجيل اسمك في اللائحة صحيح؟ هذا القرار يعود لمُتعهّد المبارايات، لكنِّي لا أرَ مانعاً في هذا».

أومأ الوكيل برأسه: «كما تقول يا سيّدي».

حاولَ دانك أن يقول شيئاً، لكن الأمير مايكار قاطعه: «حسنٌ حسن، أيُّها الفارِس، عليك أن تكون ممتنَّاً. الآن فلتَمضِ».

وضَّح الأمير بايلور: «سامِح أخي العزيز سيِّد دانك، اثنانِ من أبناءه ضلّوا طريقهم إلى هنا، وهو خائفٌ عليهم».

قال دانك: «أمطار الربيع التي هطلت مؤخّراً أوحَلت الطُرق جميعها. ربما تأخروا وحسب».



قال الأمير مايكار باحتقار: «لم آتِي لهُنا لآخذ مشورةً من فارِسٍ متجوّل».

ردَّ الأمير بايلور موّجهاً كلامه لدانك بلطف: «يُمكنك الإنصراف أيَها الفارس».

«بأمرِك يا سيّدي». وأحنى رأسه واستدار.

لكن قبل مغادرته، ناداه الأمير مجدداً: «سيّد دانك، صِلَتُكَ بالسير آرلان صلةٌ بالدم؟».

«نعم يا سيّدي، أقصد لا لا».

أشارَ الأمير إلى الدرع الذي يحمله دانك مع رمز الكأس المجنّح المنقوش عليه: «بموجَب القانون، يحقّ فقط لمن له صلةٌ بالدم أن يَرِثَ شعار الفارس. يجب عليكَ أن تحصل على رمز جديد لدرعك».

أجابه دانك: «سأفعل. شكراً مجدداً سموَّ الأمير. سأقاتِل بشجاعة، سترى». *شجاعاً مثل بايلور بريكسبيير كما اعتاد العجوز على القول.*

***

كانَ بائعو النبيذ وصانعو السُجقِّ يُمارسون تجارتهم المُربحة، والعاهرات يَسِرنَ بصفاقة بين الجموع والأكشاك، بعضهنَّ كان جميلاً بالطبع، أو بالأحرى واحدةٌ معيَّنة ذات شعرٍ أحمر، لم يستَطِع دانك سوى النَظر إلى نهديها الذين تمايلا بِخفَّة تحت عباءتها الفضفاضة. فكَّر بالفِضَّة في جرابه: *يُمكنني الحصول عليها إذا أردت، بالتأكيد سُتحبُّ طعم الفِضَّة، يمكنني أخذها للمخيَّم وإبقاؤها عندي طوال الليل*. لم ينَم مع امرأة من قبل، وعلى الأرجح، من الممكن أن يُقتَل في نزاله الأول. *قد تكون النزالات خطيرة .. لكن العاهرات أخطر بكثير*. دائماً ما كان العجوز

يُحذِّره من ذلك. *ربما قد تسرقني أثناء نومي، ماذا أفعل حينئذٍ؟* مشى بعيداً عن العاهرة حمراء الشعر بعد أن هزَّت له كتِفها بحركةٍ تُغريه بها، فهزَّ رأسه نفياً.

وجدَ إيغ يُشاهِد عرضَ الدُمى، مُقرفِصاً على الأرض وقَلنسوتُه مشدودةٌ على رأسِه لإخفاء صلعَته. لقد خافَ الفتى من الدخول للقلعة، الأمر الذي عزاه دانك بسبب شعوره بالخجل والعار. *لا يعتقد أنه يستحقُّ أن يكون بين الأسياد والأمراء رفيعي الشأن، لقد مررتُ بمثل هذه التجربة عندما كنتُ صغيراً. كان قاع البراغيث في كينغز لاندينغ مُخيفاً بقدر ما هو مُثير. يلزمه بعض الوقت للاعتياد، وهذا كل شيء. لذلك من الأفضل الآن أن يُعطيه بعض العملات النحاسيّة والتجوَّل بين الأكشاك بدلاً من جرِّه إلى قلعةٍ لا يرغب أن يذهب إليها.*

هذا الصباَح كان العرض يحكي أسطورة فلوريان وجونكل، كانَت الفتاة الدورنيَّة المُمتلئة تتحكَّم بدميَة فلوريان المصنوعة من درعٍ خشبيٍّ مُختَلِف الألوان. بينما كانت النحيلة تُحرِّكُ أوتار جونكل. صاحت قائلة: «أنتَ لستَ بفارس». بينما فَكُّ الدمية يتحرَّك لأعلى وأسفل، «أنا أعلم من أنت. أنت فلوريان المُغفَّل».

أجابت الدُميَة الأخرى راكعةً: «أنا يا سيّدتي .. مُغفَّل عظيم بقدرِ ما أنا فارِسٌ عظيم».

ردَّت جونكل: «مُغفَّل وفارس؟ .. لم اسمع بهكذا أمر أبداً».

فقال فلوريان: «الرجال يا سيّدتي الجميلة، جميعُهم حمقى وفرسان فيما يتعلَّق بالنساء».

كان عرضاً جميلاً، سعيداً وحزيناً بنفس الوقت. مع مُبارزة بالسيوف في نهايته، وتنّينٌ خشبيٌّ مصنوع بعناية. وعندما انتهى العرض، سارَت المرأة البدينَة بين الحشود لجمع النقود، بينما قامت الأخرى بحزمِ الدمى بعيداً.

أخَذ دانك إيغ وذهبا إليها.

قالت مُستغربة بنصفِ ابتسامةٍ ونظرة جانبيّة: «سيّدي؟». كاَنت رأسها أقصَر من رأسِه، لكنّها بالتأكيد أطول من أيِّ فتاة قابلها من قبل في حياته.

قال إيغ بحماسة: «كان ذلك رائعاً .. أحببتُ كيفَ جعلتم الدُمى تتحرك وكأن الحياة قد دبَّت فيهم، جونكل والتنين والجميع! لقد شاهدتُ عرضاً للدمى العام الماضي، وكانت حركاتهم بطيئة. أما دُماكم فكانت سلسلة».

أجابت الصبيَّ بأدب: «شكراً لك».

قال دانك: «والدُمى المنحوتة بشكلٍ جيد، خاصَّة التنين، كم هوَ مُخيف. هل تصنعينها بنفسك؟».

أومأت برأسها: «عمِّي يصنعها، وأنا أطليها».

«أتستطيعين طلاءَ شيءٍ لي؟ لديَّ مال لأدفع لكِ». ثُمَّ رفع الدرع عن ظهره، وأداره إليها، وأكمل: «أحتاج لرسمةٍ أخرى غير هذا الكأس المُجنَّح».

ألقَت الفتاة نظرة إلى الدرع، ثُمَّ نظرت إليه: «ماذا تُريد أن ترسِم عليه؟».

لم يفكّر دانك بذلك، إذا لم يستخدم كأس العجوز المُجنَّحة فماذا يستخدم؟ رأسه كان خالياً. *دانك الغبيّ، عقلٌ بليدٌ سميكٌ كجدران قلعة.* «لا أعـ ... لستُ واثقاً مما أريد». أدركَ بتعاسة أنَّ أذنيه احمرّتا. «أعتقد أني أحمقٌ في هذا».

ابتسمت الفتاة وقالت: «جميع الرجال حمقى، وجميعهم فُرسان».

سألها: «ما الألوان التي لديكِ؟». آملاً في أن يُعطيه هذا فكرة ما.

«أستطيع خلطَ الألوان لصُنعِ أيِّ لونٍ تريد».

لطالما بدا اللون البنيّ الذي يستعمله العجوز على درعه باهتاً بالنسبة لـ دانك. قال فجأة: «الخلفيَّة يجب أن تكونَ بلون الغروب. العجوز أحبَّ الغروب جداً. أما الرمز فسيكون ...»

قفَز إيغ قائلاً: «شجرة دردار .. شجرةٌ كبيرة كتلك الموجودة قرب البركة، مع جذعٍ بُنيٍّ طويل وأغصانٍ خضراء».

فقال دانك: «جميل نعم .. قد تفي بالغرض .. مع شهابٍ ساقطٍ يعلوها. هل يمكنكِ فعل هذا؟».

أجابت الفتاة: «بالطبع. أعطني الدرع، سوف أرسمها في المساء وأرجعها لك في الغد».

أعطاها الدرع، وقال: «أُدعى السير دانكين الطويل بالمناسبة».

ضحِكَتْ: «وأنا تانسيل .. تانسيل الطويلة-جداً كذلك، كما كان يُناديني الأولاد».

«لستِ طويلةً جداً. بل طولُكِ مناسبٌ تماماً لـِ ...» وأدركَ ما كان سيقولُه، فاحمرَّ وجهه خجلاً.

قالت وهي تُحرِّك رأسها بفضول: «مناسِبٌ لماذا؟».

قال مُحرَجاً: «للدُمى .. مناسبٌ للدمى».







بدا اليوم الأول من البطولة مشرقاً ونقيَّاً. ملأ دانك كيساً من الطعام للفَطور عبارةً عن بيضِ الإوزِّ والخُبز المقليّ ولحم الخنزير المقدد. لكن حينما طهاه اكتَشف أنه لا يشتهي أكل شيء، كانت معدتُه قاسية كالحجارة رُغمَ أنَّه لن يُبارِز في اليوم الأول. حقَّ المُبارزة في اليوم الأول يذهب إلى العوائل النبيلة والفُرسان المعروفين وأبناء اللوردات، والفرسان الأبطال الذين انتصروا بدوراتٍ سابقة.

كان إيغ يُثرثر كثيراً بينما يتناول طعامه، ويتحدَّث عن هذا الرجل وذاك وكيف سيتصرّفون، فكَّر دانك: *إذاً لم يكُن يسخَر منّي حين قال بأنه يعرف الفُرسان الجيّدين.* فكَّر أنه من التحقير عدم الإستماع لحديث هذا اليتيم، كما أن المعلومات التي بحوزَتِه قد تُفيده إذا واجه أحد هؤلاء الفرسان في النزال.

كان المرجُ مليئاً بالبشر الذين يتدافعون للاقتراب وإيجاد بقعة مناسبة لمشاهدة النزال، أما دانك فكان أطول الجميع ولم يحتَج لدفع أحد، ووقف بعيداً عن السياج قليلاً. وعندما اشتَكى إيغ أن كُلَّ ما يراه هو المؤخِّرات، رفَع الصبيَّ على كتفيه.



وعبر الميدان، كانَت منصَّةُ المُشاهدة مليئة بالأسياد والسيّدات أصحاب النسب الرفيع، وعددٌ من سُكّان المدينَة الأثرياء، وبعض الفرسان الذين قرّروا عدم المشاركة في هذا اليوم. لم يلحَظ وجود الأمير مايكار، لكنَّه وجدَ الأمير بايلور بجانب اللورد آشفورد. كان ضوء الشمس يضيء باللون الذهبي على إبزيم الكتف الذي يشبِك عباءته والتاج النحيف حول رقبته، لكنه بخلاف ذلك كان يرتدي ملابس أكثر بساطة من معظم اللوردات الآخرين. «لا يبدو التارجاريان حقيقيّ عندما يكون شعرُه داكناً». قالَها لـ إيغ هامساً.

ذكّره الصبيّ: «يُقال أن هذا بسبب والدته، التي كانت أميرةً دورنيَّة».

رفَع الأبطال المُدافعون الخمسَة راياتهم المنقوشَة عليها دروع قماشيَّة في الطرف الشماليِّ من الميدان ومن خلفهم النهر. كانت أصغر اثنتين برتقاليتا اللون، تعرضان شمساً وشريطاً عسكريّاً أبيضاً، إنَّهما لابنا اللورد آشفورد، أندرو وروبرت، أخوَي الفتاة الجميلة. لم يسمَع دانك أحداً يحكي عن براعتهم، ربما سيكونان أول الخاسرين.

بجانِب الرايات البرتقالية، كانت هناك راية أكبَر منهما بكثير بلونٍ أخضر داكِن، ترفرف فوقها الوردة الذهبيَّة لـ هايجاردن، قال إيغ: «هذا ليو تايريل، سيِّد هايجاردن».

قال دانك بانزعاج: «أعرِف هذا، خدمتُ أنا والعجوز في هايجاردن قبلَ أن تولد حتَّى». لكنَّه بالكاد يتذكّر تلك السنة أصلاً، ومن جهة أخرى، كان العجوز يحكِي كثيراً عن ليو الشوكة الطويلة، كما كان يُلقِّبه عادةً، مُبارِز فذّ، مع لونِ شعرٍ فضِّي. وأشار دانك: «لابدَّ وأنه اللورد ليو حقاً، ذلك الواقف هناك بجانب الخيمة باللونين الأخضر والذهبي، ذو اللحية الرمادية الخفيفة».

«نعم .. رأيتُه في كينغز لاندينغ ذات مرّة، إنه ليس شخصًا ترغب في مواجهته يا سيدي».

«يا ولَد .. لم أطلُب مشورتَكَ فيمن أُبارِز».

الراية الرابعة كانت تحمِل اللونين الأحمر والأبيض، وقد خيطَت معاً من قطع قماش على شكل مُعيَّنات ألماس. لم يتعرَّف دانك على صاحبها، لكن إيغ أخبره أنها تنتمي لفارِسٍ من وادي آرين اسمه السير همفري هاردينج. «لقد انتَصر بنزالٍ كبير في ميدنبوول العام الماضي، وأطاحَ بالسير دونيل الداسكِنداليّ».

أمَّا الراية الأخيرة فكانت للأمير فالار، مصنوعةٌ من حريرٍ أسود فاخر، مع خطٍّ قُرمزيّ بارز يتدلّى من الأعلى كخطٍّ من اللهب أحمر. وكانت الدرع سوداء لامعة، منقوشَة عليها رمز آل تارجاريان التنّين الأحمر ثُلاثيّ الرؤوس. وقفَ أحد فرسان الحرس الملكيِّ بجانبِه، وكان درعه الأبيض لامعاً ومُشعّاً أمام الزيِّ الأسود. تساءل دانك عمَّا إذا كان أحدٌ يجرؤ على إطاحة التنّين، فـ فالار بالنهاية هو حفيد المَلك، وابن وليّ العهد بايلور بريكسبيير.

انقطع تفكيره عندما هدرَت صوت الأبواق مُستدعيةً الأبطال الخمسة للدفاع عن ابنة اللورد آشفورد. كان دانك يسمع همهمة الجمهور عندما بدأ الفرسان بالظهور واحداً تلو الآخر من الطرف الجنوبيّ للميدان، وبدأ المُذيعون بإعلان أسماء الفرسان المشاركين. لكنَّهم توقّفوا عند منصَّة المُشاهدة الرئيسيَّة، وغرسوا رماحهم في الأرض تحيَّةً لـ اللورد آشفورد وابنته، والأمير بايلور. ثُمَّ تحرَّكوا للطرف الشماليّ لاختيار خصومهم. الأسد الرماديّ لـ كاسترلي روك اختار اللورد تايريل، بينما تحدَّى وريثَه السير تيبولت لانيستر الابن الأكبر للورد آشفورد. وعيَّن اللورد تالي على

الدرع المُزيَّن بأشكال الألماس للسير همفري هاردينج، واختار السير أبيلار هايتاور الأمير فالار، أما الأخ الأصغر للورد آشفور اختاره السير ليونيل باراثيون الذي يُعرف باسم العاصفة الضاحكة.

عاد الأبطال للطرف الجنوبيّ من الميدان لانتظار خصومهم: السير آبيلار هايتاور، صاحب الزيِّ الفضيّ الدُخانيِّ، منقوش على درعه برجُ مراقبةٍ تعلوه النيران، واللانستريَين الاثنين أصحاب أسد كاسترلي روك الذهبيّ، والعاصفة الضاحكة لامِعٌ بزيٍّ من الذهب مع أيِلٍ أسود على درعه ورداءه، وخوذَةٌ من قرونٍ حديديَّة على رأسه، واللورد تالي يرتدي عباءة مخططة باللونين الأزرق والأحمر ومثبتة مع نقش سمك السلمون المرقط الفضي رمز عائلته عند كل كتف. وقفَ الجميع بسكون، ووجّهوا رماحهم نحوَ السماء والرياح العاتية تُحرِّك راياتهم الصغيرة.

وفي الطرف الشماليِّ، وقفَ مُرافقوا الفرسان يحملون الدروع الواقية للخيول حتَّى يستخدمها الفرسان، ارتدوا خوذاتهم، وحملوا رماحهم ودروعهم في فخامة وألوانٍ زاهية. فهناك حريرُ آل آشفورد البرتقاليّ، ورداء السير همفري باللونين الأحمر والأبيض، واللورد ليو بردائه الأبيض مع أشكالٍ من الساتان الأخضر مزينة بالورود الذهبية، وبالطبع فالار تارجاريان، كان حصان الأمير الشاب أسوداً كالليل، ليلائم لون درعه ورمحه وخوذته، وكان التنين القرمزيُّ ثلاثي الرؤوس منحوتاً بأعلى خوذته، ومنقوشاً على درعه السوداء اللامعة، وكان لدى جميع المدافعين خصلة برتقالة، وهي هديَّة منحتها لهم ابنة اللورد آشفورد.

ومع أخذِ الأبطال مراكزهم، دوَّى صوت الأبواق عالياً وتحوَّل السكون إلى ضجيج في لحظة، وضربَ الفُرسان بطونَ خيولهم الحربيَّة، وبدأت آلاف الأصوت بالهتاف والصراخ، وأربعينَ حافراً حديداً يُمزِّقُ العشب، وعشرةُ رماحٍ موجَّهة نحو الخصوم، رجَفت أرضُ الميدان من تحتهم، وتحرَّك المتنافسون للاصطدام ليصنعوا نهراً من الخشب والفولاذ. وفي لمحة صاروا خلف بعضهم يستعدّون لجولةٍ ثانية. ترنح اللورد تالي في سرجه لكنه تمكن من الاستقرار في مكانه. وعندما أدرك الجمهور أن جميع الرماح العشرة قد انكسرت، صعد هدير استحسان، أن تنكسر الرماح ولا يسقط أيٌّ فارس في الجولة الأولى هو فألٌ حسن لنجاح البطولة، وشهادة على مهارة المتنافسين.

سلَّم مُرافقوا الفرسان رماحاً جديدةً لهم بدل تلك التي انكسرت ورموها جانباً، وكما حدث قبلاً، بدأوا بغرزها في الأرض، لتبدأ الجولة الثانية. كان دانك يشعُر باهتزاز الأرض تحت قدميه. وفوق كتفيه إيغ الذي يصرخُ مع الصرخات بسرور ويلوِّح بذراعيه. مرَّ الأمير الشاب بجانبهم، ولاحظ دانك طرفَ رمحه الأسود يُلامِس برج المراقبة المنقوش على درع خصمه وينزلق ليصطدم بصدره ليتحطَّم رمح السير آبيلار إلى شظايا ضدَّ درع فالار. وتحرَّكت سترة الفحلّ الرماديّ للسير آبيلار هايتور ذات الأشكال الفضيَّة الدخانيَّة من قوَّة التصادم، ليقَع أول الفرسان من على سرجه ويصطدم بعنفٍ على الأرض.

سقط اللورد تالي على الأرض كذلك، وقد أطاحه السير همفري هاردينج، لكنه نهض في الحال وسحب سيفه الطويل، فألقى السير همفري رمحه الغير مكسور جانباً وترجل عن فحله لمواصلة النزال على الأقدام. لم يكُن السير آبيلار رشيقاً جداً، فجاء مُرافقه راكضاً نحوه، وأزال الخوذة عن رأسه، ونادى المساعدة، ورفع رجلان الفارس المُصاب من ذراعيه لمساعدته على العودة إلى خيمَته. وفي مكان آخر من الميدان، كان الفرسان الثلاثة الذين بَقوا على خيولهم على

وشك البدء بجولتهم الثالثة. وتحطَّمت المزيد من الرماح، وهذه المرَّة وجَّه اللورد ليو تايريل رمحه بدقَّة واستطاع خلعَ خوذة الأسد الرمادي من على رأسه، فرفع سيِّد كاسترلي روك يده تحيَّةً لمنافسه وترجَّل عن حصانه. وبحلول ذلك الوقت، كان السير همفري قد هزم اللورد تالي في المبارزة، وأظهر موهبته بالسيف كما أظهرها بالرمح.

تواجَه تيبولت لانيستر وأندرو آشفورد ضد بعضهما ثلاث مرات إضافيَّة قبل أن يفقد السير أندرو أخيرًا الدرع والسرج والجولة بمرة واحدة. أما آشفورد الأصغر فقد استمرَّ لوقتٍ أطول ضدّ العاصفة الضاحكة ليونيل باراثيون، حيثُ حطّما مالا يقلّ عن تسعة أرماح. وأسقط كلاهما السرج في الجولَة العاشرة فقط لينزلا ويكملا التبارز على الأرض، السيف ضدَّ الصولجان. وأخيراً خضَع السير روبرت آشفورد واعترف بهزيمته بعد أن تعرّض لضربٍ مُبرح، ولكن على منصّة المشاهدة، كان والده اللورد آشفورد سعيداً بذلك. صحيحٌ أنَّ ابنا اللورد آشفورد قد خرجا من المنافسة، لكنَّهم التزموا بالمنافسة بشرفٍ ضد اثنين من أعتى فرسان الممالك السبعة.



فكَّر دانك وهو يُشاهد المنتصر يُعانق المهزوم ويمشيان معاً خارج الميدان: *يجب أن أفعل ما هو أفضل .. لا فائدة من القتال بشكلٍ جيد مع الهزيمة، عليَّ الانتصار في النزال الأول على الأقل، وإلّا سأخسر كل شيء.*

الآن، سيأخذ السير تيبولت لانيستر والعاصفة الضاحكة مكانهما بين الأبطال المدافعين ليحلُّوا محلَّ الفارسين الذَين هُزما. وقد بدأوا بإنزال الرايات البرتقالية بالفعل. وعلى بعد خطواتٍ قليلة، جلس الأمير الشاب على كرسي مرتفع أمام خيمته السوداء الكبيرة. كان قد أبعدَ خوذته، ليظهر شعرُه الداكن كوالده، عدا خُصلة لامعة في وسطه. أحضَر له خادمٌ ما كأساً من الفضة وشرب منها. *سيشربُ ماءً لو كان ذكياً، أو النبيذ إذا لم يكن كذلك*. فكَّر دانك بذلك ووجدَ نفسه يتساءل عمَّا إذا كان فالار بارعاً مثل والده فعلاً أو أنه قد اختار الخصم الأضعف.

وهدر صوت الأبواق مجدداً معلناً دخول ثلاث منافسينَ جُدد للساحة، وصاح المُذيعون بأسمائهم: «السير بيرس من آل كارون، سيِّد التُخوم». منقوشة على درعة قيثارةٌ فضيَّة، ورداءه مُزيَّنٌ بالعنادل. «السير جوزيث من آل ماليستر في سيجارد». وكان يرتدي خوذَة مُجنَّحة، وعلى درعة نسرٌ فضيّ خلفه سماءٌ سماويّة. «السير جاوين من آل سوان، سيِّد ستونهيلم على رأس الغضب». وعلى درعه زوجين من البجع في خلفيَّة بيضاء وسوداء تتقاتلان. كانت درع اللورد جاوين وعباءته وحصانه عبارة عن ألوان غير متناسقة من الأبيض والأسود أيضاً، وصولاً إلى الخطوط الموجودة على غمده ورماحه.

وابتدأ النزال. لامَس رُمح اللورد كارون وردة اللورد تايريل. وارتطم السير جوزيث بألماس السير همفري هاردينج. وتحدى فارس الأسود والأبيض، اللورد جاوين سوان، الأمير الأسود. كان اللورد جاوين أكبر من الرجل العجوز، فرَك دانك ذقنه، وسأل: «إيغ، مَن مِن هؤلاء المنافسين هو الأقل خطورة؟».

أجابَ فوراً: «اللورد جاوين، خصم فالار».

صحَّح له: «الأمير فالار، على المرافق أن يحفظ لسانه يا فتى».

أخذ المتحدِّثون الثلاثة أماكنهم مع تقدم الأبطال الثلاثة، كان الرجال يراهنون في كل مكان على المتنافسين، لكن دانك كان نظره موجَّه نحو الأمير فقط. في الجولة الأولى، ضرب درع اللورد جاوين بضربة خاطفة، حيث انزلق الجزء الضعيف من الرمح إلى الجانب تماماً كما حدث مع السير آبيلار هايتور، ولكن هذه المرة انحرف في الاتجاه الآخر، في الهواء الفارغ، وتحطَّم رمح اللورد جاوين على صدر الأمير، وبدا فالار على وشك السقوط للحظة قبل أن يستعيد توازنه.

في الجولَة الثانية، قام فالار بتحريك رمحه إلى اليسار مستهدفًا صدر خصمه، لكنه ضرب كتفه بدلاً من ذلك، مع ذلك، كانت الضربة كافيةً لأن تُسقِط رمح الفارس العجوز ويسقُطَ اللورد جاوين معه. نزَل الأمير الشاب من على سرجه وسحب سيفه، لكن الرجل الذي سقط لوَّح له ورفع خوذَته وقال: «أستسلمُ .. سموَّ الأمير». وهتف الأسياد في منصَّة المشاهدة: «قتال جيِّد». بينما ركع فالار لمساعدة الفارس ذو الشعر الرمادي للوقوف على قدميه.

قال إيغ بشكوى: «لم يكُن كذلك».

«اهدأ، أو يمكنك العودة للمخيَّم».

وفي النقطة البعيدة من الميدان، نُقِلَ السير جوزيث ماليستر بعيداً فاقداً الوعي. بينما كان لورد القيثارة ولورد الورود يتواجهان برويَّة لإمتاع الحشد الصاخب. كان دانك مُركَّزا نظره على فالار تارجاريان لدرجة أنه لم يلحظهم كثيراً. إنه فارسٌ جيِّد، ولا أكثر من ذلك. قد تكون لي فرصة أمامه إذا أذِنَت الآلهة، وربما أقدر على إطاحته، ثُمَّ نتعارك على الأرض.

صرخَ إيغ الجالس على كتفي دانك بحماس: «اقضِ عليه». بينما شعرَ دانك بحماسِه الشديد. «اقض عليه! اضربه! إنه هنا .. هناك». يبدو أنه كان يهتف للورد كارون. كان القيثارة يعزِف لحناً موسيقياً مختلفاً الآن، حيثُ يستدرج اللورد ليو للخلف بينما كان الفولاذ يغنّي مع الفولاذ. بدا الجمهور منقسماً بالتساوي تقريباً بينهما، لذلك اختلطت الهتافات والشتائم بحرية في هواء هذا الصباح. كانت قطع الخشب والطلاء تتطاير من درع اللورد ليو حيث حطَّم بلطَة اللورد بيرس ووردته الذهبيَّة، واحدة تلو الأخرى، حتى تحطم الدرع وانفصل أخيراً. وما إن حدث ذلك حتّى علِقت البلطة للحظة في الخشب، وتحطَّمت بلطة اللورد ليو على درع خصمه، وفجأة أصبح هو الشخص الذي يتعرَّض للهجوم، وفي غضون غضون لحظات، جثى فارس القيثارة على ركبتِه يُغنِّي لاستسلامه.





استمرَّ الأمر على هذا المنوال لبقيَّة الصباح وبعد الظهيرة، حيثُ استمرَّت المبارزات وتنافَس الفُرسان لجولتين أو ثلاث، وبعضُهم لخمسِ جولات. هدرَت الأبواق، وأعلَن المذيعون الأسماء الجديدة، واصطفَّ المتنافسون، واندفعت الأحصنة، وهتفت الجماهير وتشاتمت، وحُطِّمَت الرماح كجذعِ شجرٍ أهيَف، وصلصلت السيوف، ورنَّ الفولاذ بالفولاذ. واستمتع الجميع كِبارَ القوم وعامَة الناس، واتّفقوا أنها افتتاحيَّة رائعة لدورة الألعاب. كان نزال السير همفري هاردينج والسير همفري بيسبيري (وهو فارسٌ شابٌّ شجاع، مرسوم على درعه خطوط صفراء وسوداء مع ثلاث خلايا نحل) هو الأمتع، حيثُ حطَّما مالا يقل عن اثنَي عشرَ رُمحاً في صراعٍ ملحميٍّ سُرعان ما أطلق عليه الجمهور اسم معركة همفري. وقد أُطيحَ بالسير تيبولت لانيستر من قِبَل السير جون بنروز وتحطَّم سيفه بسقوطه، لكنَّ القتال استمرَّ بدرعٍ واحدة لينتصر ويبقى في مكانه. وانتُزِعت خوذَة السير روبين ريسلينج وهو الفارس العجوز الأشيب ذا العين الواحدة بلحيَة رمادية أمام رمح السير ليو في ركوبهم الأوَّل، لكنَّه رفض الاستسلام، واستمرَّ نزالهم لثلاث دورات، والريح تلسَع وجه السير روبين وشظايا الرماح المكسورة تتطاير نحوَ وجهه العاري كسكاكينٍ خشبيَّة، الأمر الذي وجده دانك مُذهلاً خاصَّة بعد أن أخبره إيغ أنه قد فقد عينه بسبب شظيّة رُمحٍ مكسور على الأقل قبل خمس سنوات. وقد كان ليو تايريل شريفاً بما فيه الكفاية لإلَّا يستهدف عُنَق السير روبين مُجدداً، ومع ذلك، عِناد السير روبين (أو غباءه؟) أبقى دانك مدهوشاً، وفي النهاية ضرَب لورد هايجاردن درع السير روبين بجانب قلبه واطاحه على الأرض.

كما خاض السير ليونيل باراثيون العديد من المباريات الفريدة ضِدَّ الفُرسان الغير معروفين، غالباً ما كان يضحك بصوتٍ عالٍ في اللحظة التي يلمسون فيها درعه، ويضحك طوال الوقت عندما يقوم بضربهم وإسقاطهم من سروجهم. وإذا كان منافسوه قد نحتوا أيَّ شِعار على خوذتهم، فإنه يقوم بكسرها وقذفِها للجمهور ضاحكاً. وقد كانت المنحوتات على قمَّة الخوذَة عبارة عن أشكال مُزخرفة، منحوتَة من الخشب أو الجلدِ المُحشَّى، وأحياناً مطليَّة أو مُذهَّبة ومصقولة بشكل رائع أو مصنوعة من الفضّة الخالصة، لذلك لم تُعجِب المنافسين هذه العادة القبيحة، لكن الجمهور كان مستمتعاً بها.

وبعد فترَة لم يَعُد يختاره سوى الفرسان الذين يجهلونه. وبقدر ما كان السير باراثيون صاخباً أمام الجمهور الذي أحبَّه ويضحك بصوتٍ عالٍ، إلَّا أن دانك فكَّر أن شرَف اليوم يذهب للسير همفري هاردينج الذي أطاح بأربع عشرة فارساً، كُلٌّ نزال أجمل من سابقه.



وفي تلك الأثناء، جلسَ الأمير الشاب خارِج خيمَته السوداء، يشربُ من كأسِه الفضيِّ ويقوم من حين لآخر بهزيمَة شخصٍ ما غير معروف. لقد انتصرَ بتسع نزالات، لكن دانك فكر أن جميعها انتصارات هزلية، *إنَّه يُنافِس الفرسان العجائز ومن تمَّ تنصيبهم للتوّ، واللوردات أصحاب المهارة العاديَّة، الرجال الخطيرون حقاً يتجاوَزونه وكأنهم لم يروه.*

وفي وقتٍ متأخر من ذلك اليوم، صدرتْ جلبةٌ مُعلنة عن دخول منافِس جديد للميدان، يركب حصاناً مكسوَّاً بالأحمر مع حوافٍّ سوداء وقليل من الأصفر والقرمزيّ والبرتقالي. وعندما اقترب من منصَّة المشاهدة لإلقاء التحيَّة، رأى دانك الوجه تحت الخوذة، إنه الأمير الذي التقاه عند إسطبلات آشفورد.

ضيَّق إيغ ساقيه حول رقبة دانك، فصرخَ: «توقَّف عن هذا .. أتريد دقَّ عُنقي؟».

صاح المُذيع قائلاً: «الأمير إريون اللَهبُ الساطِع، من الحُصنِ الأحمر في كينغز لاندينغ، أمير سمرهول من آل تارجاريان، حفيدُ دايرون الصالح، الثاني من اسمه، ملك الأنداليين والرويينار والرجال الأوائل، وسيِّد الممالك السبعة».

كان التنّين ثلاثيّ الرؤوس مرسوماً على درع إريون، لكن بألوانٍ أكثر إشراقاً من ألوان فالار، رأسٌ برتقاليّ، وآخر أصفر، والثالث أحمر. والنيران التي تخرج منهم أكثَر لمعاناً من الذهب. وكان معطفه خليطاً من لونِ اللهب القرمزيّ القاني والدُخان الرمادي، ونُحِتَ بأعلى خوذته نيرانٌ مطليَّة بالأحمر.





وبعد توقّفه لبرهةٍ بغير اكتراثٍ وغرز رمحه في الأرض لتحيَّة الأمير بايلور، جرى بخيله بسرعة نحو الجهة الشماليَّة من الحقل متجاوزاً راية اللورد ليو والعاصفة الضاحكة، وتباطئ حينما وصَل للأمير فالار. نهضَ الأمير الشاب بتحدٍّ جانب درعه، وللحظةٍ تأكد دانك أن إريون سيضربه. لكن بعد ذلك ضحك وتوجَّه نحوَ السير همفري هاردينج ووجَّه رمحه نحو درعه الماسيِّ، وصاح بنَغم: «تعال تعال أيها الفارس الصغير .. حان الوقت لمواجهة التنّين».

أومأ السير همفري برأسه بقوة لخصمه، وصعَد على فحله، وأنزَل خوذته، وحمل الرمح والدرع. هدأ الحشد فجأة حينما أخذ الفارسين مكانهما، لدرجة أن سَمِع دانك رنين خوذة الأمير إريون وهو يُنزِل طبقة الحماية. وهدرت الأبواق.

انطَلق السير همفري بتسارع أبطأ، أما خصمُه وخزَ حصانة من الجانبين لينطلق أسرع. ضيَّق إيغ ساقيه مُجدداً وبدأ بالصراخ: «اقتله .. إنه هناك .. اقتله». لم يكُن دانك يعرف لمَن يهتِف هذا الفتى.

كان رُمح الأمير إريون ذو الرؤوس الذهبيَّة المطلية بالأحمر والبرتقالي والأصفر منخفضاً جدَّاً، وهذا ما اعتقده دانك. *سيُخطئ الفارس، ويضرب الحصان، يجب أن يرفعه، إنه منخفض جداً.* ثُمَّ مع اقترابهم، بدأ يشكُّ أن إريون لا يقصد فِعلَ هذا. *لا يمكن أن ...*

وفي آخر لحظة يمكن له تفاديها، ربَّت السير همفري على حصانه لتغيير اتجاهه بعيداً عن الرُمح، لكنَّه تاخَّر في هذا. انغرزَ الرُمح في رقبة الحيوان فوق الدرع الذي يحمي عظامَه، ونَفرت من مؤخِّرة رقبته دماءٌ كثيرة. جلجَل الحصان بعنف، سقطَ على جانِبه كاسِراً السياج الخشبيَّ الفاصل. وقد حاول السير همفري القفز، لكنّ قدمه عَلِقت في السرج، وسمع الحشد صراخه، وسقط وانكسرت ساقه بين السياج المتصدِّع والحصان الدامي.



كُلُّ من في مرج آشفورد بدأ بالصراخ. ركَض رجالٌ نحوَ الساحة لإخراج السير همفري، أما الحصان الذي يحتضر فبدأ يُحرك قدميه بقوة راكلاً من يقترب منه. سارَ إريون مُسرعاً متجاوزاً الدماء حتَّى نهاية المسار، ثُمَّ أدار حصانة وعادَ. كان دانك يصرخ أيضاً لكنَّه لم يستطع نُطَق كلماتٍ تصف ذلك الحصان المُحتَضِر. وثَب إريون من على سرجه، وسحبَ سيفه ليُكمِل المبارزة ضِدَّ خصمه الذي سقط. واضّطر مرافقه الخاص ومرافق السير همفري لسحبه للخلف. تلوَّى إيغ على كتف دانك، وقال: «أنزلني .. يالحصان المسكين .. أنزلني يا سيّدي».

شعَر دانك بالاشمئزاز: *ماذا أفعل إذا كان هذا مصير رعد؟* ثُمَّ قام رجُل بذبح الحصان ببلطَته مُنهياً صرخاتِه الفظيعة. واستدار دانك وشقَّ طريقَه عبر الحشد الهائج، وعندما انفسَح الطريق أنزَل إيغ على الأرض، وقال للفتى: «مشهدٌ رهيب .. نعم .. لكن يجب أن يكون المُرافِق قويَّاً .. أخشى أننا قد نرى حوادث أشنع في جولاتٍ أخرى».

أجابَ إيغ راجِفاً: «لم يكُن حادِث .. لقد تعمَّد إريون فعل ذلك كما رأيت».

قطَّب دانك جبينه. لقد رأى ذلك بالفعل، لكن كان صعباً عليه أن يقبَل فكرة أن لا يتنافس الفارس بشرف، خاصَّة لو كان من دم التنين. قال بحزم: «رأيتُ فارساً يانعاً كالعُشب الصيفيِّ فقد السيطرة على رُمحه .. ولن أسمع المزيد من هذا الهُراء، هيَّا يا فتى، أعتقد أن المبارزات قد انتهت لليوم».

***

أعلَن اللورد آشفورد عن انتهاء المباريات بعد أن ضبَط الفوضى التي أحدثها الأمير، وكانت الشمس قد أوشَكت على الغروب تماماً.

أضاء التُجَّار أكشاكهم على طول الخطّ بمئة مصباح على الأقل بعد أن تسلّلَت ظلال المساء عبر المرج. اشتَرى دانك قرن نبيذٍ لنفسه ونصف قرنٍ للصبيّ ليشرب معه، تجوّلا في السوق هنا وهناك وهما يستمتعان بالهواء النقيّ الذي يلفح رؤوسهم، ثُمَّ شاهدا عرضَ الدُمى الذي كان يحكي اليوم عن نايميريا الملكة المُحاربة، والتي ملَكت أسطولاً قوامه عشرة آلاف سفينة. بالطبع كان لدى مُحرِّكي الدمى سفينتين وحسب، لكنَّهم تمكَّنوا من إدارة المعركة ببراعة. أراد دانك أن يسأل الفتاة تانسيل عمَّا إذا كانت قد انتهت من طلاء درعه، لكنَّه استوعب أنها مشغولة. سأنتظر حتى تنتهي الليلة، ربما تودُّ شُربَ كأسٍ معي بحلول ذلك الوقت.

«سيِّد دانكين». نادى صوتٌ ما من وراءه. «سيِّد دانكين». استدار دانك وتذكَّر من هذا، إنه رايمون فوسواي. قال وهو يبتسم: «لقد رأيتُك بين الحَشد صباحاً وعلى كتفك على الفتى .. في الواقع كان من الصعب عدم مُلاحظتكما».

«هذا الفتى هو مُرافقي. وهذا رايمون فوسواي يا إيغ». سحب دانك الصبي إلى الأمام، فخفض إيغ رأسه ينظر إلى حذاء رايمون وتمتم بتحية.

قال فوسواي ببساطة: «أهلاً يا فتى». ثُم رفع رأسه نحو دانك: «سيد دانكين، لماذا لم تُشاهدة المبارزات من منصَّة المشاهدة؟ جميع الفرسان مُرحَّبٌ بهم هناك».

كان دانك يرتاح بين القرويين والناس العوام والخدم، فكرة أن يكون له مكانٌ بين اللوردات والليديهات والفرسان فكرةٌ مزعجة. «لم أكُن لأرغب في رؤيةٍ أقرب للنزال الأخير».

كشَّر رايمون: «ولا أنا. وقد أعلَن اللورد آشفورد أن المنتصر هو السير همفري ومنحه حصان الأمير إريون، لكن ومع ذلك، لن يكونَ قادراً على النزال، فقد كُسِرت ساقه بمكانين مختلفين، وقد أرسَل الأمير بايلور المايستر لعلاجه».

«إذاً هل سيكون هناك بطلٌ آخر مكان السير همفري؟».

«كان لدى اللورد آشفورد نية لمنح المكان للورد كارون، أو ربما للسير همفري الآخر، همفري هاردينج الَذين قدَّما معاً نزالاً رائعاً. لكن الأمير بايلور أخبره أنه لن يكون من اللائق إزالة راية همفري تحت أيِّ ظرف، لذا من الواضح أنَّهم سيكملون بأربعةٍ فقط بدلاً من خمسة».

أربعة فرسان .. ليو تايريل وليونيل باراثيون وتيبولت لانيستر والأمير فالار. لقد رأى دانك ما يكفي في اليوم الأول ليُدرك مدى بساطة احتمال أن ينتصر على أيٍّ من الثلاثة، وهكذا يبقى واحدٌ فقط ...

لكن فارسٌ متجوِّل لا يمكن له مبارزة أمير. فالار هو الثاني في ترتيب العرش الحديديّ، وهو ابن بايلور بريكسبيير، وهو من دم التنين، دم إيغون الفاتح. أمَّا أنا مُجرد متسوِّل عثر عليه العجوز خلف متجرٍ للأواني في قاع البراغيث.

صدَع رأسه بمجرَّد التفكير، لكنَّه سأل رايمون: «وابن عمِّك من سوف يتحدَّى؟».

«السير تيبولت، جميعهم متساوون أصلاً، لكن ابن عمّي يُراقب بحدة من جميع الزوايا، إذا أُصيبَ أي رجلٍ في الغد أو ظهرت عليه علامات الإرهاق والتعب فسوفَ يُسارع ستيفون بالطرق على دِرعه، لم يهتم أبداً أن يناديه أحد بأنه فارس شهم». ثُمَّ ضحك، وأكمل: «سيد دانكين، أتودُّ الانضمام لي وشرب قدحٍ من النبيذ؟».

أجاب دانك الذي لا يرتاح لضيافة شخصٍ ما: «لديَّ بعضُ الأمور عليَّ فعلها».

قال إيغ: «يمكنني الإنتظار هنا يا سيّدي وإحضار درعك عندما ينتهون من عرض الدمى .. سيبدأون بعد لحظاتٍ بعرض أسطورة سيمون عيون النجم والتنين سيُقاتل مرَّة أخرى».

قال رايمون: «هاك، أرأيت، سيهتمّ الفتى بأمورك، والنبيذ بانتظارك. ثُمَّ إنَّه خمر آربور العتيق أيضاً. كيف لكَ أن ترفض هكذا؟».

لم يَعُد لِـ دانك أيُّ أعذارٍ عن عدم قبوله دعوته، فسارا معاً تارِكَين إيغ يُشاهد عرض الدُمى. حلَّقت التفاحة الخضراء لـ آل فوسواي فوق الخيمَة الذهبيَّة التي يتجَّهز فيها ابن عمِّه، وخلفها هناك خادِمان يدهنان ماعِزاً بالعسل والأعشاب على نارٍ هادئة. قال رايمون ممسكاً بطرف الخيمة للدخول: «هناك طعامٌ أيضاً إذا كنتَ جائعاً». ثُمَّ أشعل الموقِد بالفحم ليُدفئ هواء الخيمَة، وبدأ بملئ قدَحين من النبيذ قائلاً: «يقولون أنَّ الأمير إريون غاضبٌ من اللورد آشفورد كونَه أعطى حصانة للسير همفري، لكنِّي أُراهن أن عمَّه هو من نصحَ بذلك». وأعطى دانك كأس النبيذ.



«الأمير بايلور رجلٌ شريف».

«أتقصِد أن الأمير الشُعلة ليس كذلك؟». وضَحِك رايمون على طرفته، وأكمل: «لا تقلق يا سيِّد دانكين، لا أحد هنا غيرُنا. ليسَ سرّاً أن إريون شخصٌ سيء. أحمدُ الآلهة أن ترتيبَه ضعيفٌ في وراثَة العرش».

«أتعتقد حقاً أنَّه كان يقصِد قتلَ الحِصان؟».

«أهناك شكٌّ في هذا؟ لو أنَّ الأمير مايكار هنا لكان الأمر قد اختَلف بالتأكيد، إنَّ كُلَّ الابتسامات والفروسيَّة المُصطَنعة التي يقوم بها يؤديها فقط حينما يكون والدُه يُراقبه، لو صحَّت الحِكايات، وحين لا يكون والده ...»

«نعم لاحظتُ أن مقعَد الأمير مايكار كانَ فارغاً».

«لقد غادر آشفورد بحثاً عن ولَديه بصحبة السير رولاند كريكهول من الحرس الملكيّ، هناك أقوال قويَّة تقول أنهما تعرَّضا للهجوم من قِبَل قُطَّاع الطرق، لكنِّي أُراهن أنَّ الابن الأكبر على الأقل يسكر في حانةٍ ما مجدداً وبصحبته الفتى الأصغر».

كانَ النبيذُ لذيذاً وحلواً لم يتذوَّق مثيله من قبل، غرغَر دانك في فمه وقال: «أيُّ أميرٍ هذا؟».

«وريث مايكار، يُدعى دايرون على اسم الملك، يصفونَه دائماً بـ دايرون السِكِّير، لم يَصِل إلى آشفورد لا هو ولا أخوه الأصغر، رغم أنهم خرجوا معاً من سمرهول». ورشَق رايمون باقي القدح وأردف: «مسكينٌ مايكار».

استغرَب دانك: «مسكين؟ ابن الملك؟».

«إنَّه الابن الرابع للملك». أوضَح رايمون. «ليسَ بنفس جُرأة الأمير بايلور، ولا بذكاء الأمير إيريس، ولا لطيفاً كالأمير رايجل، والآن عليه أن يرى أبناء أخيه يتفوّقون على أبناءه أيضاً. دايرون مخمور طوال الوقت، وإريون مغرور وسقيم، والابن الثالث لا يُرجى منه شيئ لدرجة أنَّهم أعطوه للقلعة في البلدة القديمة ليُصبِح مايستر، أما الرابع ...»

«سيِّد دانكين، يا سيِّدي». قاطَع إيغ حديثَهُم لاهِثاً، وقد كانت قلنسوته قد أزُيحت عن رأسِه، وعكَست نار الموقِد عينَيه الأرجوانيَّتين الواسعتين. «يجبُ أن تأتي .. إنَّه يؤذيها».

وقَف دانك على قدميه مُرتبكاً: «يؤذيها؟ مَن؟».

صرخ الصبيّ: «إريون .. إنَّه يؤذيها .. أعني فتاة الدُمى .. هيَّا أسرِع». واستدار بسرعة ليختفي في ظلام الليل.



قامَ دانك من فورِه، لكن رايمون أمسَك ذراعه مُحذِراً: «سير دانكين، توخَّ الحذر، لقد قال إريون، إنه أمير من دماء التنين».

كان مُصيباً بكلامِه، يعرف دانك هذا، الرجل العجوز سيقول له ذات الشيء، لكنَّه لم يستطع الإنصات، انتَزع يد رايمون وشقَّ طريقَه للخروج من الخيمَة. كان يسمَع صرخاتِها في اتجاه كُشكِها. اختَفى إيغ عن نظره تقريباً، لكنَّه جرى مُسرعاً ليلحقه، كانَت ساقاه طويلتان والفتى قصير، وسرعان ما اقترب منه.

تجمَّع جدارٌ من المتفرّجين حول مُحركي الدُمى، أزاحهم دانك عن طريقه مُتجاهلاً السُباب الذي يطلقونه نحوه. قام أحد الرجال المُدرَّعين بالألوان الملكيَّة بصدِّ دانك عن التقدُّم أكثر، لكن دانك وضَع يده الكبيرة على صدر الرجل ودفعه، ليتراجَع الرجل إلى الوراء ويسقط على التُراب.

رأى أن كُشكَ مُحركي الدُمى مدمَّرٌ على جانبي الطريق، والسيِّدة الدورنيَّة البدينة على الأرض تبكي، وكان أحد الرجال يُمسِك بدُميَتي فلوريان وجونكل بيديه بينما الآخر يحرقها، وثلاثَة رجالٍ آخرين يفتحون بقيَّة الصناديق ويُخرجونَ ما بها من مُعدَّات ودمى ويدوسون عليها. كانَت دمية التنّين مُبعثَرة على الأرض، جناحٌ مكسور هنا ورأسٌ هناك وقطع أخرى متناثرة. ووسط كُل هذه الفوضى، وقفَ الأمير إريون مرتدياً زيَّاً أحمر مخمليٍّ، بأكمام طويلة مُتشقِّقة، ويلوي ذراع تانسيل الراكعة أمامه بكلتا يديه مُتجاهِلاً توسُّلاتِها.



فتَح يدها بقوَّة وأمسَك بأحدِ أصابعها. وقفَ دانك هناك بغباء مذهولاً مما يراه. ثُمَّ سمِع طقطقة تليها مباشرةً صرخات تانسيل.

حاوَل أحدُ رجالِ إريون تنحيَة دانك، لكنَّه فرَّ منه، وقفزَ ثلاث خطواتٍ كبيرة ليَصِل للأمير، ثُمَّ أمسَك بكَتِفه من الخلف وشدَّه إليه. كان قد نسيَ سيفَه وخِنجره، كما نسيَ جميع ما تعلَّمه من العجوز في تلك اللحظة. أسقطت قبضَتُه إريون على قدمَيه، ورفع قدمه ليرتطم حذاؤه ببطنِ الأمير على الأرض، وعندما زحَف لأخذِ خنجره الذي سقط، داسَ دانك على معصَمِه وركله مُجدداً في فمه مباشرةً. كاد ليكونَ قتالاً حتَّى الموت لولا أنَّ رجال الأمير احتشدوا حوله وكتَّفوه بإحكام، واحدٌ عند كُلِّ ذراع وآخرٌ يُثبِّته من ظهره.



وأخيراً استطاعوا إطاحته بصعوبة، وشدُّوا ذراعيه وساقيه. وقفَ إريون دامِيَ الفمّ على قدميه أمامه، وأدخَل يداً في فمه، وصاح: «لقد خلعتَ إحدى أسناني .. لذا سنبدأ بتحطيم أسنانك أولاً». ثُمَّ أزاح شعره عن عينيه، وأردف: «تبدو مألوفاً».

«حَسِبتَني صبيَّ الإسطبل في القلعة».

قال إريون باحمرار: «نعم أتذكَّر هذا .. الآن قُل لي، لماذا استغنيتَ عن حياتك؟ من أجل هذه العاهرة؟». كانت تانسيل ما زالت تتلوَّى على الأرض ضامَّة يدها المُشوَّهة. قام بركلِها، وقال: «تستحق ما جَرى لها، خائِنَة، يجبُ ألَّا يخسَر التنين أبداً».

إنَّه مجنون، لكنَّه ابن أمير أيضاً، ويريد قتلي. كان ليدعو آلهته لو كان يُحسِن ذلك، لكن لم يكُن هنا وقت. ولم يكُن هناك وقتٌ للخوف أيضاً.

«لا شيء لتقوله؟ لقد آلمتني أيُّها الفارس». قالها ساخِراً ومَسح فمه الدامي، وأمَر حارِسه: «أحضِر مطرقة، وحطِّم كُلَّ أسنانِه يا ويت، ثُمَّ دعونا نُقطِّعه ونُريه ألوان أحشائه».

«لا». صرخَ صوت صبيّ. «إيَّاكُم وأذيَّته».

فلتَحفظه الآلهة، ذلك الصبيّ، الفتى الشُجاع الأحمق. إنه يحاول الدفاع عنه ضد حرس الأمير، وهذا ليسَ جيداً على الإطلاق. «احفظ لسانَك أيها الولد الأحمق، عليك أن تهرُب، سوف يؤذونَك».



«كلَّا، لن يفعلوا». وتحرَّك إيغ بقربِه: «إذا فعلَوا ذلك فسوف يجنونَ على أنفسهم أمام والدي وعمِّي كذلك .. لقد قلت اتركوه، يا ويت، يوركل، أنتما تعلمان من أنا، افعلا ما أمرت به».

تركته اليد التي كانت تمسِك بذراعه اليُسرى، ثُمَّ تركته اليد الثانية. لم يكُن دانك يفهم ما الذي يحدُث، كان الرجال المُسلحين يتراجعون، حتَّى أن أحدهم قد ركع، ثُمَّ ظهر وسط الحشد رايمون فوسواي بدرعه وخوذته ويدهُ على سيفِه، وكان ابن عمِّه خلفَه مباشرةً قد أخرج سيفَه بالفعل، ومحاطين بدستَة من الرجال المُسلَّحين يحملون رمز التفاحة الخضراء مخيطَةً على صدورهم.

لم يُعِر الأمير إريون أيَّ اهتمام لهم، وقال مُشيراً لـ إيغ: «أيُّها البائس الصغير الوقِح». وبصقَ دماً قرب قدمّي إيغ: «ما الذي حدثَ لشعرِك؟».

«لقد قصصتُه .. لم أكُن أريد أن أبدوَ مثلك .. يا أخي».

***



كان اليوم الثاني من البطولة مُلبَّداً بالغيوم مع رياح عاصفة تهبُّ من الغرب. *لابدَّ وأنَّ الجمهور اليوم أقل. سيكون من السهلِ عليهم العثور على مكانٍ مناسب لمشاهدة المبارزات، ولكان إيغ قد جلَس على السياج بينما أكون وراءه.*

ولكن بدلاً من ذلك، سيجلِسُ إيغ في منصَّة المُشاهدة مرتدياً الحرير والفرو، بينما الشيء الوحيد الذي سيشاهده دانك هي هذه الجدران الأربعة لحُجرة البرج في قلعة آشفورد الذي تمَّ إحتجازُه بها، كانت لها نافذةٌ بالطبع، لكن للاتجاه الخاطئ، ومع ذلك حشرَ دانك وجهه قرب النافذة مع شروق الشمس وحدَّق بحزنٍ عميقٍ نحو المدينة والمرج والغابة. لقد صادروا جميعَ مُعدَّاتِه قرب شجرة الدردار، سيفُه وخنجَره والدرع الزُرديّ، كما أخذوا أمواله أيضاً، أمِلَ دانك أن يتذكَّر إيغ ورايمون المهرة الكستنائيَّة وفحله رعد.

تنهَّد بصوتٍ خفيض: «إيغ ...» مُرافِقه المسكين، الذي قَدِم من شوارِع كينغز لانديغ، أو هكذا كان يعتقد. هل هناك فارسٌ بنفس حماقته؟ *دانك الأحمق .. عقلٌ بليدٌ سميك كجدران قلعة، بطيءٌ كالثيران.*

لم يُسمَح له بالتحدُّث مع إيغ منذ أن قيَّده جنود اللورد آشفورد في تلك الليلة، ولا رايمون أو تانسيل ولا أيَّ شخصٍ آخر حتَّى اللورد آشفورد أيضاً. تساءل إذا ما كان سيرى أياً منهم أصلاً، لا يعرف إن كانوا سوف يبقونَه هنا إلى أن يتعفَّن ويموت. سأل نفسَه بمرارة: *وماذا تعتقد أنهم سيفعلون؟ لقد ضربت نجلَ الأمير وركلته في وجهه.*

لم تلمَع دروع الفرسان الأبطال ولم تظهر الأناقة الكاملة للأمراء كما كانت عليه بالأمس تحت هذه السماء الرمادية اليوم، شمسُ اليوم محتجبةٌ خلف الغيوم، لكن رغم ذلك تمنَّى دانك أن يكون بين الجمع لمشاهدة المبارزات، سيكونُ يوماً جيِّداً للفرسان الجوَّالين والرجال الذي يرتدون دروعاً عادية وأحصنةً بلا كسوة.

كان في الحُجرَة يسمعهم من بعيد على الأقل. كانَت أصوات الأبواق تصِلُ مسمعه، ومن وقتٍ لآخر يُدرِك من صرخات الجمهور أن أحداً ما قد سقط أو انتصر أو فعلَ أمراً يستحق هذه الجَلَبة، سَمِع دقَّات حوافر خافتة أيضاً، وأحياناً أصوات صليل السيوف وطقطقة الرماح.

وصوت الطقطقة بالذَّات كان يجفَل منه، فقد ذكَّره بصوت طقطقة أصابع تانسيل حينما كسرَها إريون. وكان يسمعُ أيضاً بعض الأصوات القريبة، أصواتُ أقدامٍ تمشي خارِج باب الحُجرَة، وحوافِر في الفناء، وصرخاتٌ وأصواتٌ من جدران القلعة.

تذكَّر ما كان يقوله الرجل العجوز قبلَ زمن بعيد: «الفارِس المتجوِّل هو أصدق أنواع الفرسان يا دانك .. الآخرون يخدمونَ اللوردات الذين يُطعمونَهم، أو الذينَ يحكمونَ الأرض التي نشأوا بها، لكنَّنا نخدِمُ حيثُ نريد، نخدِمُ الرجال الذين يؤمنون بِقَسَمنا. صحيح أنَّ جميع الفُرسان يُقسِمونَ على حماية الضعفاء والأبرياء، لكننا -الفرسان الجوَّالون- أفضَل من يُحافظ على هذا القَسَم». غريبٌ كيف تذكَّر دانك تلك الكلمات الآن رغم نسيانه لها، وحتَّى العجوز على الأرجح قد نسيَها.

انقلب الصَّباح للظهيرة، وبدأت الأصوات البعيدة للمباريات تتضائل وتموت، وبدأ الظَّلام يتسلَّل إلى الزنزانة، وبَقِيَ دانك جالساً على المقعَدِ قُربَ النافذة، ينظُر نحو العتمَة مُتجاهلاً قرقرة بطنه.



فيما بعد سَمِع خطوات أقدام وأصوات مفاتيحٍ حديديَّة، استقام واقِفاً بمُجرَّدِ أن فُتِح الباب واندفَع منه حارِسان، أحدَهما يحمِل مصباحاً زيتيّاً والآخر صينيَّة طعام، ومن خلفِهم كان إيغ الذي أمرهم: «ضعا الطعام والمصباح وانصرفا».

فعلا ما أمرَ به، رغم أن دانك لاحظ أنهما تركا الباب الخشبيَّ الثقيل مُوارِباً. استنشَق رائحة الطعام وأدرك حينها كم كانَ جائعاً، هناك خبزٌ طازَج وعسل، وطبقٌ من حساء البازلَّاء، وسيخٌ من البصلِ المشويِّ واللحم المُتفحِّم. جلسَ بجانِب الأطباق، وقطع خُبزاً بيديه وحشا فمه بها، وعلَّق قائلاً: «لا يوجد سكِّين .. هل ظنَّوا أني سأقوم بطعنِك يا فتى؟».

«لم يُخبروني بظنونِهم». كان يرتدي معطفاً من الصوف الأسود ضيق بخصر مدسوس وأكمام طويلة مبطنة بالساتان الأحمر، وعلى صدرِه خيطَ تنّينُ آل تارجاريان ثلاثيِّ الرؤوس. «عمَّي يقول أن عليَّ الاعتذار وطلب المغفرة منكَ لأني خدعتُك».

«عمُّك .. تقصِد الأمير بايلور».

نظرَ الفتى ببؤس: «لم أقصِد أن أكذِبَ عليك».



«لكنَّكَ فعلت، كذبتَ بشأنِ كُلِّ شيء، بدءاً من اسمك .. في الحقيقة لم أسمع بالأمير إيغ من قبل».

«إنَّه اختصارٌ لـ إيغون. شقيقي إيمون سمَّاني بذلك، إنه في القلعة القديمة الآن يتدرَّب ليكونَ مايستر. وأخي دايرون يُطلق هذه التسمية أيضاً، وأخواتي أيضاً».

رفَع دانك السيخ وأخذ قضمَةً من لحم الماعِز المُتبَّل بتوابِل الطبقة الرفيعة التي لم يتذوّق مثلها من قبل. وهمهم: «إيغون .. بالطبع إيغون، تيَّمُناً بإيغون التنين الأول .. كم عدد الذين حكموا البلاد بهذا الاسم؟».

أجابَ الصبيّ: «أربعة .. هناك أربعة إيغون».

مضَغ دانك اللُقمة وابتلعها ومزَّق المزيد من الخُبز. «لماذا فعلتَ ذلك؟ أكان لمجرَّد التهريج والسخرية من فارسٍ متجوِّل؟».

«بالطبع لا». قالها وقد اغرورَقت عيناه بالدموع، لكنَّه ثبَت مكانه كرجلٍ، وأكمل: «كان من المُفترَض أن أكونَ مُرافقاً لأخي الأكبر دايرون، لقد تعلَّمتُ كُل ما على المُرافِق تعلَّمُه، لكن دايرون ليس فارساً حقيقياً، لم يُرِد الركوب في البطولة، وبعد مغادرتنا لـ سمرهول فرَّ بعيداً عن الموكِب وأنا بصُحبَتِه، ولكنَّنا توجَّهنا مباشرةً إلى آشفورد ظنَّاً منه أنهم لن يجدونا بهذه الطريقة، وقد كان يعلم أن والدي سيُرسِل رجاله بحثاً عنَّا، لذا قامَ بحلقِ رأسي. أمَّا هو لا شيء مميَّز به، شعرٌ بنيٌّ باهت، بعكس شعري الذي يُشبِه لون شعر إريون وأبي».

«دماءُ التنّين .. شعرٌ ذهبيٌّ فضِّي وعيون أرجوانية، الجميع يعرف ذلك». أيها البليد الأحمق كجدران القلعة.

«صحيح، لذا قام دايرون بحلق شعري. لقد أراد الاختباءَ حتَّى انتهاء دورة المباريات، وهناك وجدتني أنتَ في الحانَة كـ صبيِّ الإسطبل و ...» خفضَ عينيه. «لا يعنيني إذا شارَك دايرون أم لا، ما أردُته هو أن أكونَ مُرافقِاً لشخصٍ ما. أنا آسف يا سيِّدي .. آسفٌ حقاً».

نظَر إليه دانك بعطف. لقد جرَّب ذلك الشعور، عندما يُريد شيئاً ما بشدَّة للحد الذي يجعله يكذب للوصول إليه. «ظننتُ أنَّك مثلي .. ربما تكون كذلك لكن بالطريقة العكسيَّة».

قال الصبيّ بأمل: «كِلانا من كينغز لاندينغ».

ضَحِكَ دانك: «صحيح .. غير أنَّك من أعلى قمَّة مهبَطِ الملك، وأنا من القاع».

«ليسَ بعيداً يا سيِّدي».

أخذَ دانك قضمَة من سيخ البصل. «هل أنا بحاجةٍ إلى مناداتِكَ بـ سيِّدي أو سموَّ الأمير أو أي لقبٍ آخر؟».

«في المحكمة فقط». صرَّح الفتى. «ولكن في الأوقات الأخرى بإمكانك مُناداتي بـ إيغ إذا أردت يا سيِّدي».

«وماذا سيفعلونَ بي يا إيغ؟».

«عَمِّي يُريد أن يراك، بعد أن تُنهي طعامَك».

دفَع دانك الطَبق جانباً ووقف: «ولقد انتهيتُ الآن .. إذاً هيَّا بنا، لقد ركلتُ أميراً على فمه بالفعل، ولا أريد إبقاء أميرٍ آخر ينتظرني».

***



كانَ اللورد آشفورد قد أعطى حُجرَته الخاصَّة للأمير بايلور طيلة فترة إقامَته، لذلك كان على إيغ - لا بل إيغون، الاسم الذي كان عليه الاعتياد عليه - كان عليه أن يقودَه نحوها. كان بايلور جالساً يقرأ على ضوء الشموع حين دخلا. ركَع دانك أمامه، فقال له: «انهض .. أتودُّ بعضَ النبيذ؟».

«كما تريد .. جلالَتك».

أمرَ الأمير: «صُبَّ للسير دانكين كأساً من النبيذ الأحمر الدورنيَّ الحلو يا إيغون .. وحاول أن لا تُفسِدها عليه، لقد أفسَدت حياتَه بما يكفي».

«لم يُفسِد الفتى شيئاً مولاي .. إنَّه صبيٌّ جيِّد، ومُرافِقٌ جيِّد، وأعلَم أنَّه لم يقصِد أن يؤذيَني».

«لا يحتاج المرء أن يقصِد الأذيَّة ليؤذي غيره. كان على إيغون أن يأتي ويُخبرني أنا عندما كان يفعل أخوه تلك الأفعال بمُحرِّكي الدُمى أولئك بدلاً من الركضِ إليك. لم يَكُن تصرَّفاً لطيفاً ما فعلتَه أيُّها الفارس .. حسنٌ ربما سأفعل الشيء ذاته لو كنتُ مكانَك، لكنَّني أميرُ المملكة، ولستُ فارِساً متجوِّلاً. ليسَ من الحِكمَة ضربُ حفيد الملك بغضِّ النظر عن سبب ذلك».

أومأ دانك بجديَّة. وقدَّم له إيغ قدحاً فضِّيّاً مملوءاً بالنبيذ، تناوله دانك وأخذَ رشفة كبيرة.

«أكره إريون». قال إيغ بإصرار. «وقد اضطررتُ لإخبار السير دانكين يا عمِّي .. القلعة كانت بعيدةً جدّاً».

ردَّ الأمير بحزم: «إريون هو أخوك. والسبتون يقول أن علينا أن نُحبَّ إخواننا. الآن يا إيغون، اتركنا من فضلك، أودُّ التحدُّث مع السيِّد دانكين على انفراد».

تركَ الصبيّ وعاء الخمر، وانحنى قائلاً: «كما تشاء، مولاي». وانصرف نحو الباب وأغلقه بهدوءٍ خلفه.

حدَّق بايلور في عيون دانك لفترة طويلة، ثُمَّ قال: «سيِّد دانكين، دعني أسألك بصدق، كيف تُقيِّم نفسَك كفارس؟ ما مدى براعَتِك؟ وما هي مهاراتُك في استخدام الأسلحة؟».

لم يعرِف دانك ماذا يُجيب. «السير آرلان علَّمني القتال بالسيف والدرع، ودرَّبني على المبارزة كذلك».

بدا أن الإجابة لم تُعجِب الأمير. «اسمع، لقد عاد أخي مايكار إلى القلعة قبل بضع ساعات، عادَ وقد وجدَ وريثه مخموراً في حانَة ما على بُعدِ مسيرة يوم جنوباً. أعتَقد أنه كان يأمل أن يرى أبناءه يُشاركونَ في البطولة ويتفوَّقون على أبنائي، لن يعترف بهذا بالتأكيد، لكنِّي موقِنٌ به. وها هو ذا عاد ووجد ابنيه يجلبان له العار. ولكن ماذا يمكن أن يفعل؟ إنهم من دماءه. غَضِب مايكار بشدَّة، وعليه أن يوجِّه غضبه نحو هدفٍ ما. وقد اختارك».

«اختارَني؟». ردَّدَ دانك بريبَة.

«إريون قد ملأ أُذن والده بالهُراء بالفعل. ولم يقُل دايرون شيئاً سوى أنَّه برَّر هلعه وجُبنَه بعدم المشاركة لأبيه، أخبَر أخي أنه التقى بالصَدفة بالفارس الضخم في الطريق نحوَ آشفورد، وسَرق منه إيغون بالقوَّة. أظنُّ أنك التقيت من قبل بقاطعي طريق كهؤلاء. على العموم، في قِصَّة دايرون، ظلَّ يُلاحِقُكَ طيلة هذه الأيام هنا وهناك لاستعادة شقيقه».

«ولكن إيغ سيُخبره الحقيقية. أعني إيغون».

«إيغ سوف يخبرهم بلا شكّ .. لكن الفتى معروف عنه الكَذِب أيضاً. إذاً ضع نفسَك مكان الأمير، من الابن الذي سيُصدِّقه؟ أما بالنِسبَة لمُحرِّكِي الدُمى أولئك، فبعد أن ينتهي إريون من تحريف حكايتِه هو أيضاً، سيكونونَ خائنينَ للعرش. التنِّين هو رمزُ العائلة الملكيَّة، وحينَما يُمثِّلون مقتَل التنين في دمية من الخشب والنشارة ... على كُلِّ حال ليسَ هذا موضوعَنا. بالتأكيد لم يُضمِروا الشَرَّ، لكن إريون لم يفقه ذلك، حاجَج أنَّ وجودَ التنين هو مجازٌ واضِح وهجوم مُبطَّنٌ على آل تارجاريان وتحريضٌ على التَمرُّد، ومن الأرجَح أن يُصدِّقه مايكار. أخي ذو شخصيَّة شكَّاكة. وقد وضعَ آماله على ابنه إريون بعد أن خيَّب دايرون السكِّير أمله». وأخذَ الأمير رشفَة من النبيذ وأكمل: «أيَّاً ما أراد أخي تصديقه أو تكذيبه، هناك حقيقةٌ واحدة لا خلاف عليها. لقد لطَّختَ يديك بدماء التنِّين، ويجبُ أن تتمَّ مُحاكمتك ومعاقبتك على هذا الفِعل».

«مُحاكَمة؟». لم يَستَسِغ دانك وقعَ الكَلِمة.

«إريون يريدُ رأسك بأسنانٍ أو بدونها. لن يَحصُلَ على مُراده أعدكَ بهذا، لكن لا يُمكنني منعُ أمرِ المُحاكَمة، ونظراً لأن والدي المَلك على بُعدِ مئات الفراسِخ عن هنا، سوف نُضطَّر لمُحاكَمتِكَ أنا وأخي بصحبَةِ اللورد آشفورد سيِّدُ هذه البلدَة واللورد تايريل لورد مُقاطَعة هايجاردن الي تتبعها آشفورد. آخرِ رجلٍ قام بضربِ أمير من الدماء الملكيَّة، تمَّت مُحاكَمتُه وقطع يده التي مسَّ بها الأمير».

قال دانك مذعوراً: «تقطعونَ يدي؟».

«وقدميكَ أيضاً، لقد ركلتَه أليسَ كذلك؟».

لم يتكلَّم دانك بشيء.

«بالتأكيد سأُحاول تخفيف الحُكم مع زملائي القضاة، أنا يدُ الملك في النهاية ووريث العرش الحديديِّ، كلامي لهُ بعض الوزن، لكن هكذا الأمر، طالما أخي موجود، سيبقى الخطر قائماً».

«أنا .. جلالَتك .. يا سيِّدي». لم يقصِدوا أيَّ تمرُّد، لقد كان مُجرَّد تنِّينٍ خشبيِّ. أرادَ أن يقول هذا، لكنَّ لسانَه قد ارتبط وخانَته الكلمات.

قال الأمير بايلور بهدوء: «بالتأكيد .. لديكَ خيارٌ آخر .. لا أدري إذا كانَ خياراً أسوأ أو أفضل، لكن وجبَ تذكيرُك: أيُّ فارِسٍ يُتَّهم بجريمَة ما، يكونُ له الحقُّ دائماً بالمطالَبة بمحاكمَة بالنزال. لذا أسألك مرَّة أخرى يا سير دانكين الطويل، كيف تُقيِّم نفسَك كفارس؟ وما مدى براعَتِك بصدق؟».

***

«نزالٌ سُباعيّ». قال الأمير إريون مُبتَسماً. «هذا حقّي أيضاً، كما أظن».

ضربَ الأمير بايلور أصابعِه على الطاولة عابس الوجه، وإلى يساره أومأ اللورد آشفورد ببطئ. «لماذا؟». صرَخ الأمير مايكار ومال إلى الأمامِ نحوَ ابنه. «هل أنتَ خائفٌ من مواجهة هذا الفارس المتجوِّل لوحدك وترك الآلهة تُقرِّر حقيقَة ادِّعائاتِك؟».

أجاب إريون: «خائف؟ من هذا الكائن؟ لا تكُن سخيفاً يا أبي. ولكن ما قصدتُه أنِّي أُفكِّرُ بأخي الحبيب دايرون، لقد قال أن هذا المدعوَّ بـ دانكين الطويل قد اختَطف إيغون أيضاً، لذا عليه المطالَبة بتحقيق العدالة. والمبارَزة السُباعيَّة ستسمَح لكلينَا بمواجَهتِه».

تمتَم دايرون تارجاريان: «لا تؤدِّي أية خدمةٍ لي يا أخي». بدا الابن الأكبر للأمير مايكار أفضل مما رآه دانك عندما قابله في النزل، فقد بدا مُتزناً هذه المرَّة، ومعطَفُه الأسود والأحمر غير ملوَّثٍ بالنبيذ، لكن عينيه كانتا مُحتقنتانِ بلونٍ أحمر، ويلمع العرق على جبينه. «أنا قانِعٌ بتشجيعك وحسب وأنتَ تقتل الوغد».

قال إريون: «أنتَ لطيفٌ جداً يا أخي .. لكنِّي مُصرٌّ على النزال السُباعيّ، فلا يُمكنني حرمان أخي اللطيف من حقِّه الشرعيِّ في إثبات كلامِه على حساب جسده، سأكونُ أنانيَّاً حينها».

كان دانك يشعُر بالضياع: «مولاي .. أسيادي اللوردات .. لم أفهم، ما هو النزال السُباعيُّ هذا؟».

تزحزَح الأمير بايلور في مقعده الغير مريح: «إنَها صيغَةٌ أخرى للمحاكَمة بالنزال، صيغةٌ قديمة، ونادراً ما تحدُث. جائتنا عبر البحر الضيِّق مع تقاليد الأنداليين وآلهتهم السبعة. في المُحاكَمة العاديَّة، يسأل كُل من الجاني والمجني عليه آلهته للفصل بينهم وإظهار الحقَّ في قضيَّتهم، وقد اعتَقد الأنداليُّون أنَهم يُكرِّمونَ آلهتهم حينما يتقاتل سبعةٌ من كُلِّ جانِب، وهكذا فإن الآلهة تستطيع الاختيارَ بشكلٍ أدقٍّ وتحقيقَ العدالة».

أضاف اللورد تايريل بنبرةٍ ساخرة: «أو ربما فقط يستمتعون بمذاق السيوف .. الآن، مهما يكُن، من حقِّ إريون المطالبة بنزالٍ كهذا، إذاً ستكون محاكمة سُباعيَّة».

سأل دانك فاقِداً الأمل: «إذاً عليَّ مُبارزة سبعة؟».

أجاب الأمير مايكار باستياء: «ليس وحدك .. لا تلعب دورَ الأحمق، لن يُفيدكَ هذا. سيكون هناك سبعة مُقاتلين مقابِل سبعة، أي أنَّ عليكَ إيجاد ستَّة فرسان للقتال بِصَّفِك».

ستَّة فرسان! فكَّر دانك بالأمر، إذا طلبوا منه ستَّة فرسان أو ستَّة آلاف فلا فارق. لم يكُن لديه إخوة، ولا أبناء عمٍّ ولا رِفاق قُدامى قاتلوا معه. *لماذا يُخاطِر ستَّة غرباءٍ بحياتِهم من أجلِ*

فارسٍ متجوّل مجهولٍ عديم القيمة ضد اثنين من الدماء الملكيَّة؟ قال أخيراً: «مولاي .. ماذا لو لم يأخذ أحدٌ تلك الأماكن؟».

نظرَ إليه مايكار بنفاذ صبرٍ وقال: «إذا كانَت القضيَّة عادلة، فالرجال الشُرفاء سيُقاتلون من أجلها، وإذا لم تتمكَّن من العثور على أبطال، فهذا يعني بأنَّك مُذنِب. هل هناك شيءٌ آخر غير واضح؟».

***

لم يَشعُر دانك بهذا القدرِ من الوحدة التي أحسَّ بها إثر خروجِه من قلعَة آشفورد وسماع دويِّ البوابات تُغلَق خلفُه في حياِته قطّ. كان يتساقط مطرٌ خفيف كالندى على جلدِه ومع ذلك ارتَعش منه. وعبرَ النهر، بانَت الخيَم بألوانِها القاتِمة الآن بفعل الأمطار ونيرانٌ مشتعلةٌ حولها. *لابدَّ وأني في منتصف الليل، والفجرُ سيطلُع قريباً، ومع بزوغِه سيأتي الموت.*



قرَّروا إرجاعَ سيفه ونقوده له. كانَت أفكارُه قاتِمةً بينما يمشي في المرج. تسائل عمَّا إذا أخذوا بحُسبانِهم أنَّه قد يسرِج خيلَه ويفرَّ هارِباً، يُمكنه فعل ذلك إذا رغب، لكن حينَها سيكون مطلوباً للملك، وسينسى لقب الفروسيَّة، وسيكون مُجرَّد رجل خارِج عن القانون متخَّفٍ طوال الوقت حتَّى يعثُر عليه أحدهم ويُقدِّمَه للعدالة ويقطعونَ رأسه. *من الأفضل أن أموت كفارس على أن أعيشَ حياةً كهذه.* ظلَّ يمشي قاطِعاً المضامير الفارِغة. مُعظَم الخيَم مُظلِمة غارقة في نومٍ عميق. ولكن لا يخلو الأمر من خيَم هنا وهناك ظلَّت مُنيرة، سَمِع أنيناً خفيفاً وتأوُّهات المُتعة من بعضِها. تسائل عمَّا إذا كان سيموت دون أن يُجرَّب هذه المُتعَة.

ثُمَّ سَمِع صوتَ شخير حصان، شخيرٌ سمعه كثيراً لصوتٍ يعرفه جيَّداً، صوت رعد. استدار ناحيةَ الصوت وركض ليتأكَّد أنَّه هو. لكن ولغرابَته، كان رعد يقفُ مُقيَّداً خارِج الخيمة مع الكستنائيِّة العجوز، مازال بإمكانِه تمييزَ الخيمَة رغم الظَّلام، فقد كانت الراية التي تعلوها تفاحَة فوسواي. شعرَ بقليلٍ من الأمل.

«محاكَمةٌ بالنزال». قال رايمون بتثاقُل: «فلترحمك الآلهة يا دانكين. هذا يعني أن الرِماحَ والسيوف وباقي الأسلحة لن تكون خشبيَّة كتلك المُستخدمة في البطولة .. هل تفهم هذا؟».

قال ابن عمَّه السير ستيفون ساخِراً: «رايمون المذعور». مُثبِّتاً تُفاحةً ذهبيَّة كمشبك لمعطفِه الأصفر. «لا داعي للذُعر يابن العمَّ، هذا قتال فُرسان، وحيثُ أنَّك لست فارِساً فأنتَ لست بخطر. إذاً يا سيِّد دانكين، كنتُ هناك ورأيتُ ما فعل إريون بمُحرِّكي الدُمى، أنا معكَ وأدعمك، لديكَ فوسواي واحد للوقوف بجانِبك، فوساوي ناضِج».

«وأنا ...» صرخَ رايمون غاضِباً: «أعني أنّي ...»

قاطَعه ابن عمِّه سائلاً: «من أيضاً يُقاتِل في صفِّنا يا سير دانكين؟».

رفع دانك يديه يائساً: «لا أعلمُ أحداً سواكم. امم، حسنٌ باستثناء السير مانفريد دونداريون، والذي فيما يبدو لن يُخاطِرَ بحياتِه من أجلي، فهو حتَّى لم يقبل أن يشهد على فروسِّيتي عند اللورد آشفورد».



بدا السير ستيفون مُستاءاً قليلاً: «إذاً نحتاج لخمس رجال آخرين. ولحسن الحظ لديَّ أكثر من خمسِ أصدقاء، ليو لونغثورن والعاصفة الضاحِكة ولورد كارون وفرسان لانيستر والسير أوثو براكين وبلاكوودز أيضاً .. لكن لا أعتقد أنَّهما سيقفانِ جنباً إلى جنب .. لا يهمُّ الآن، يجدرُ بي أن أذهب وأتحدَّث مع بعضهم».

حاجَّه ابن عمِّه: «لن يكونوا سُعداء بإيقاظهم».

قال السير ستيفون: «ممتاز جدَّاً .. إذا كانوا غاضبين فإنَّهم سيُقاتلون بعُنف. يمكنكَ الاعتماد عليَّ سيِّد دانكين. إذا لم أعُد قبلَ طلوع الفجر، أحضِر درعي وكن مُستعدّاً لتشجيعي يابن العمَّ. سألتقي بكما في ساحة المعركة». ثُمَّ تحرَّك خارِجَ الخيمة وتبدو عليه سيماء السعادة، وضَحِك: «سيكون يوماً طويلاً بلا شكّ، وسنتذكَّره دائماً».

لم يكُن رايمون كذلك: «خمسُ فراسان» قالها باندفاع بعدَ رحيل ابن عمِّه: «أكره تحطيمَ آمالك سير دانكين، لكن ...»

«إذا تمكَّن السير ستيفون من إحضار أولئك الرجال ...»

«ليو لونغثوم والعاصفة الضاحِكة ووحش براكين؟ إنَّه يعرفُهم بالطبع بلا شكّ. لكن هل هم يعرفونه؟ لستُ واثِقاً من هذا. ستيفون لا يرى هذه سوى أنَّها فُرصَة ليتألَّق ويُعرَف بينَ الفرسان، بينما حياتُكَ بأكملها تعتمد على هذا النزال. أنتَ من يجب أن تجِد الفرسان، وأنا سأُساعِدك. من الأفضل أن يكون لديكَ عدد كبير من الفرسان بدلاً من القليل الـ ...» واستدار رايمون برأسه بعد أن سمِع صوت جلبةٍ خارِجَ الخيمة، وقال: «من هناك؟». فظهر صبيٌّ من خلفِ المدخل تَبِعه رجل نحيل بعباءة مطرٍ سوداء.

وقف دانك على قدميه: «إيغ؟ ما الذي تفعله هنا؟».

قال الصبيِّ: «أنا مُرافقك أتذكُر؟ ستحتاجُ شخصاً ما لتسليحِك يا سيِّدي».

«هل يعلمُ السيِدُ والدك أنَّك تركت القلعة؟».

«لترحمنا الآلهة .. آمل أن لا يعرِف». أجاب الرجل النحيل دايرون تارجاريان فاكَّاً إبزيم عباءته تارِكاً إيّاه ينزلق من كتفيه النحيلتين.

«أنتَ! أأنتَ مجنونٌ لتأتي إلى هنا؟». وسحب دانك خنجَره من جيبِه. «يجدُر بي غرسُ هذا في بطنِك».

قال الأمير دايرون: «ربما .. لكنِّي قد جئت لأشرب كأس نبيذ وحسب، انظروا إلى يدي». وأخرَج يده أمامهم ليُريهم كيف تهتزّ.

حدَّق دانك نحوه غاضِباً: «لا أهتمُّ بيدك .. لقد كذبتَ بشأني».

أجاب الأمير: «كان عليَّ أن أقول شيئاً ما حينما سأل والدي عن اختفاء أخي الصغير». ومشى نحوَ الكُرسيِّ ليجلِس مُتجاهِلاً دانك وخنجَره. «لكن، والحقُّ يُقال، لم أُدرِك أصلاً أنَّ إيغ قد اختفى». واستنشَّق بعُمق. «لم أنظر سوى لقاع أقداح النبيذ خاصَّتي، ولم يَكُن موجوداً هناك .. لذلك ...»

قاطَعه إيغ قائلاً: «إن والدي سيُشارك في النزال السُباعيِّ يا سيِّدي. توسَّلتُ إليه، لكنَّه لم يُصغي. يقول أنَّها الطريقة الوحيدة لاسترداد الاعتبار وشرف إريون ودايرون».

أشارَ الأمير دايرون: «ليسَ وكأني طلبتُ منه استرداد شرفي .. هنيئاً لمن يعثُر على ذلك الشرف وليحتفظ به. ومع ذلك وصلنا إلى هذه النقطة. مازلتُ قلقاً مما سيحدُث. على كُلِّ حال سير دانكين، ليس لديكَ ما تخشاه منِّي، أكرهُ السيوف بقدر حُبِّي للخيول، أشياءٌ ثقيلة وحادَّة وحشيَّة. سأبذل ما بوسعي لأبدو مقاتِلاً شرساً في البداية، ولكن بعد ذلك ... حسنٌ تستطيع توجيه ضربةٍ خفيفةٍ إلى جانب خوذَتي، اجعلها تبدو ترنُّ لكن ليس بصوتٍ عالٍ، إذا فهمت ما أعنيه. ربما يكون إخواني أفضل منِّي بالقتال والرقص والقراءة والتفكير، لكن لا أحد منهم أفضل مني بالكَذِب الملوَّث بالوحل».

لم يكُن لدى دانك سوى التحديق في وجه الأمير مُتسائلاً إذا كان يلعب دورَ الأحمق أم ماذا. «لماذا أتيت؟».

أجاب الأمير: «لكي أُحذِّرَك مما ستواجِهه .. إن والدي قد أمر فُرساناً من الحرَس الملكيِّ بالمشاركة أيضاً».

ردَّد مُرتاعاً: «الحرس الملكي!».

«نعم .. بالأحرى، الثلاثة الموجودون هنا. شكراً للآلهة، فقد صرَف العمُّ بايلور الأربعة الأخرين إلى كينغز لاندينغ إلى جدِّنا المَلك».

زوَّده إيغ بالأسماء قائلاً: «السير رولاند كريكهول والسير دونيل الداسكِنداليّ والسير ويليام وايلد».

أكمَل دايرون: «ليسَ لديهم خيارٌ في هذا. لقد أقسموا على حماية حياة الملك والعائلة الحاكِمة، وأنا وأخواني من دماء التنين، لتساعدنا الآلهة».

عدَّ دانك على أصابِعه: «هذا يجعلُكم ستَّة. من هوَ السابع؟».

هزَّ الأمير كتفيه: «سيجدُ إريون أحداً ما بالتأكيد. وإذا لَزِمَ الأمر، سيستأجِر أحداً ما، لا ينقصنا الذهب».

سأل إيغ: «وأنتَ من لديك؟».

«السير ستيفون، ابن عمَّ رايمون».

جفل دايرون: «فقط واحد؟».

«ذهبَ السير ستيفون ليسأل أصدقاءه».

قال إيغ: «أستطيع إحضار البعض .. فرسان .. أستطيع فعل ذلك».

قال دانك: «لا يا إيغ .. سوف أُقاتِل إخوانَك».

أجاب الصبيّ: «لن تؤذي دايرون رغم ذلك .. سوف يُسقِط نفسه. أما عن إريون، فدعني أخبرك .. أتذكَّر عندما كنتُ أصغر، اعتادَ أن يأتي إلى حُجرتي ليلاً، ويَضع سكِّيناً بينَ ساقيَّ، ويقول أنَّ لديه الكثير من الإخوة، ربما ذات ليلة سيجعلني أختَه ويتزوَّج منِّي. كما ألقى بقطَّتي في البئر يوماً .. يقول أنَّه لم يفعل ذلك، لكنَّه كذَّابٌ أشِر».

هزَّ الأمير دايرون كتفيه ضاجِراً: «إن إيغ على حقّ. إريون مُغفَّل ووحشٌ حقيقيٌّ. يعتقدُ أنَّه تنِّينٌ على هيئة بشر. لهذا السبب كان غاضِباً جدَّاً في عرضِ الدُمى. من المؤسِف أنَّه لم يولد من آل فوسواي، لكان اعتقد أنَّه تُفَّاحة وسنكون سالمين جميعاً. ولكن ها نحن ذا». ثُمَّ نَهضَ واقِفاً ورفَع عباءته المُلقاة على الأرض ونفضَ المطر عنها. «عليَّ أن أعودَ للقلعة قبلَ أن يتسائل والدي عن سبب استغراقي وقتاً طويلاً لشحذِ سيفي، ولكن قبل أن أذهب، أريد الحديث معكَ على انفرادٍ يا سيِّد دانيكن، هلَّا أتيتَ معي؟».

***

نظرَ دانك إليه بلحظةِ ريبة، ولكنَّه قال: «كما تريد، مولاي». وغمَد خِنجَره. «عليَّ إحضار درعي أنا أيضاً».

أضاف رايمون: «وأنا وإيغ سنبحثُ عن فُرسان».

ربَط الأمير دايرون عباءته حولَ رقبتِه ورفعَ قلنسوتَه لأعلى. تَبِعه دانك، وسار معه تحت المطر الخفيف باتِّجاه عرباتِ الباعَة.

قال الأمير: «لقد حلمتُ بِك».

«لقد قلتَ لي ذلك في الحانة».

«حقاً؟ حسنٌ إذاً. أحلامي ليسَت كأحلامِك يا سير دانكين، أحلامي حقيقيَّة، ودائماً تُخيفُني، أنتَ تُخيفني. حلمتُ بِك وبقربك تنِّينٌ ميِّت. وحشٌ ضخم، عِملاق. مع أجنحةٍ ضخمةٍ غطَّت هذا المرجَ بالكامِل. كان واقِعاً أمامَك من أعلى، لكنَّه كان ميتاً بينما أنتَ حيّ».

«هل قتلتُه؟».

«لا أستطيعُ تخمينَ ذلك. لكن الأكيد أنَّك كنتَ أنتَ، والتنين كان ميتاً. لقد كُنَّا سادَة التنانين ذات يوم، نحن آل تارجاريان. الآن جميعُها اختفت، لكنَّنا بقينا. لا يهمِّني إذا متُّ اليوم. الآلهة وحدها تعرف، أمَّا أنا فلا. إذاً اصنع هذا المعروف إن أردت وقاتل بلطف معي، واحرِص على أن تذبَح أخي إريون فقط».

أجاب دانك: «وأنا أيضاً، لا يهمِّني إذا متُّ اليوم».

«حسنٌ يا سيِّد، لن أقتُلك بالتأكيد. وسأقوم بسحبِ ادِّعائاتي أيضاً، لكن ذلك لن يكون ذو فائدة مالم يسحب إريون إدعائاتَه أيضاً». وتنهَّد. «رُبما أكون قد قتلتُك بالفعل بسبب كَذِبي. إذا كان الأمر كذلك، فأنا آسف. رُبما سأُعذَّب بالجحيم، حينها لن يكونَ هناك نبيذ أصلاً». ثُمَّ استدار مُبتعداً عنه هناك تحت المطر الخفيف.

***

كان التُجَّار قد وضعوا عرباتِهم في الحافَّة الغربيَّة للمرج، وقفَ دانك هناك تحت الأشجار ناظِراً إلى الفراغ الذي كان مكان عربة مُحرِّكي الدُمى. رحلوا. كان يخشى أن يكونوا كذلك. *كنتُ لأرحل أنا أيضاً لو لم أكُن سميكاً كجدران القلعة.* تساءل ماذا سيفعُل بشأن درعه الآن، كان ليشتري واحِداً لو وجدَ واحداً للبيع.

«سيِّد دانكين». ناداه صوتٌ قادِمٌ من الظَّلام. استدار دانك ليجد ستيلي بيت واقفاً خلفه، ممسكاً بفانوسٍ حديديّ. كان يرتدي معطفاً جلديَّاً قصيراً مفتوحاً وعارياً في الجزء العلوي من جسده، مع صدرٍ عريضٌ وذراعان ضخمتان مُغطاتان بشعرٍ أسودٍ كثيف. «إذا أتيتَ من أجلِ درعك، فقد تركته معي». وتفحَّص دانك من أعلى وأسفل. «مازلتَ مُحتفظاً بيديك وقدميك. إذاً لابدَّ وأنها محاكمة بالنزال، أليسَ كذلك؟».

«نزال سُباعيّ. كيف عرفت؟».



«ربما قبَّلوكَ وصنعوا منكَ لورداً، لكن هذا بعيدُ الاحتمال، وحيثُ أنَّ الأمور سارت بغير طريق، فها أنتَ ذا احتفظتَ بطولِك ... الآن اتبعني».

تَبِعه دانك. كان من السهل تمييز عربتِه من خلال السيف والسنديان المرسومَة على جانبها. دلف معه إلى الداخل. علَّق الحدَّاد فانوسَه على خُطَّاف، وهزَّ معطفه المُبلل. ثُمَّ أنزل لوحاً مُفصَّلاً من أحدِ الجُدران لتصير طاولة، وقال له أن يجلس بعد أن دفع إليه بكرسيٍّ.

جلسَ دانك. «إلى أينَ رحلت؟».

«توجَّهوا نحو دورن، عمَّ الفتاة حكيم، لم يرضَ أن يبقوا، إذا ذهبوا فسيُنسى أمرهم، وإذا بَقوا سيتذكَّرهُم التنِّين دائماً. علاوة على ذلك، قرَّر أنَّه من الأفضل أن لا تراك الفتاة تُقتَل». ثُمَّ انتقل بيت للجهة الأخرى من العربة يبحث في الظلال. وعاد بالدرع قائلاً: «كان الدرع قديماً، ومعدن رديء وصدئ وهشّ، صنعتُ لك واحِداً جديداً، ضعف سماكته، ووضعت دعاماتٍ على ظهره أيضاً. سيكون أثقل الآن، لكنَّه أفضل بالتأكيد. أما الفتاة فقد نقشَت الرمز».

وجدَ أنَّها قد قامت بعملٍ مُتقَن أكثر مما تصوَّر. فحتَّى مع الضوء الخافِت للمصابيح، كانت ألوان الغروب مُشبَّعة وزاهية بالألوان، تتوسَّطها شجرةٌ كبيرةٌ وطويلةٌ وقويَّة. وكان الشِّهاب الساقِط عبارةً عن لمعةٍ من الطِلاء يعبُر السماء. ولكن بعدَ أن حمله دانك بيديه بدا الأمر خاطِئاً تماماً. *شهابٌ ساقِط، أيُّ نوعٍ من الرموز هذا؟ هل سيسقط بنفس السرعة؟ مع غروب الشمس الذي يُبشِّر بمجيء الليل.* قال ببؤس: «كان عليَّ الإبقاء على الكأس .. كان لها أجنِحة على الأقل لتطير بعيداً. والسير آرلان كان يقول أن الكأس كان مملوء بالإيمان والصُحبة الجيدة وأشياء لذيذة للشُرب. أمَّا هذا الرمز نُقِشَ وكأنه نذير للموت».

أشار بيت إليه قائلاً: «لكن الدردار حيَّة .. انظر كيف هيَ خضراء يانعة. أوراقٌ صيفيَّة بالتأكيد. ثُمَّ إني رأيتُ دروعاً مُزيَّنةٌ بالجماجم والذئاب والغربان، وحتَّى راياتٌ لرجالٍ مشنوقون ورؤوسٌ مُدمَّاة، ومع ذلك تجُد الفرسان الصالحين في كُلِّ مكان خدموا، وكُلَّ راية حملوا. هل تعرِف الكلمات القديمة؟ بلُّوط وحديد احموني جيَّداً ...»

«... أو أنِّي سأموت ومصيري جحيماً». أكملها دانك. لم يُفكِّر في هذا السجع منذ سنوات، علَّمه إيَّاها العجوز منذ زمن بعيد. سأل بيت: «كم تُريد للدرع الجديد وباقي الأشياء؟».

حكَّ بيت لحيته: «منك؟ قطعة نحاسية وحسب».

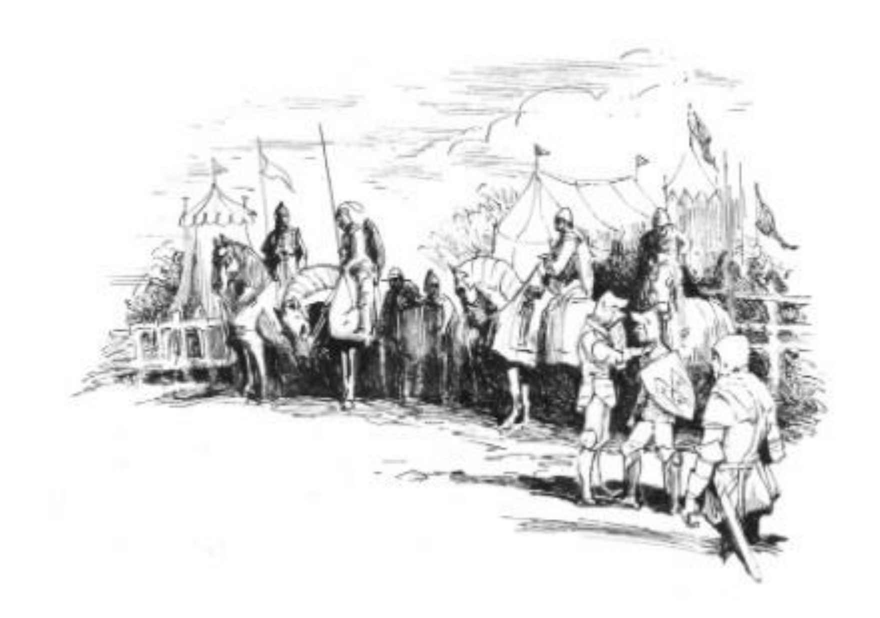
***

كانَ المطرُ قد توقَّف تقريباً بطلوع الخيط الأول من الفجر من شرقيِّ السماء. بدأ رجال اللورد آشفورد بإزالة الحواجِز، وكانت ساحة المعركة عبارة عن بركة طينيَّة موحِلة وعشبٌ مُمزَّق. كانَت محالِق النباتات تسبَح في الهواء الضبابيِّ كالثعابين البيضاء الشاحبة بينما عاد دانك إلى المضمار وبيت يمشي بصحبَته.

بدأت منصَّةُ المشاهدة بالامتلاء بالفِعل. وكان اللوردات والليديهات يتدثَّرون بمعاطِفهم طلباً للدفئ من هواء الصباحِ البارد. وكان العوام يتوجَّهون نحو المرج أيضاً وقد وصل بعضهم بالفعل وامتلأت الفراغات بطول السياج. فكَّر دانك بمرارة: جاء الكثير لرؤيتي أموت. لكنَّه كان مُخطئاً، فعلى بُعدِ خطواتٍ قليلة، صاحت امرأة: «حظَّاً سعيداً لك». وتقدَّم رجلٌ عجوز وأمسَك يده قائلاً: «عسى أن تُعطيك الآلهة القوَّة يا سيِّدي». ثُمَّ أشار متسوِّلٌ إلى سيفِه ودعى له، وقامَت صبيَّة بتقبيل خدِّه. سأل بيت: «ما الذي يحدُث؟ من أنا بالنسبة لهم؟».

قال الحدَّاد: «لا تستغرب .. أنتَ الفارس الذي أوفى بقَسَمِه».





وجدا رايمون خارِج ساحَة المنافِسين في الطرف الجنوبيِّ من السياج ينتظرهم مع حصان ابن عمِّه وحصان دانك. جلجَل رعد عند رؤيَته تحت ثِقَل درع رقبَتِه ورأسِه وبطانَةٌ من الدرع الثقيل على جسمه. تفقَّد بيت دِرع الحصان وقال بأنَّه عملٌ جيِّد رغم أنَّه قد يكون أفضل. أما دانك فقد كان مُمتنَّاً للدرع غير آبه بجودته.

ثُمَّ رأى آخرين. رجل أعوَر العين ولحية رماديَّة، وفارسٌ شابٌّ في معطفٌ مُخطَّط بالأصفر والأسود وخلايا نحلٍ منقوشَة على درعه. فكَّر بدهشة: إنَّهم السير روبين ريسلينج والسير همفري بيسبيري والسير همفري هاردينج كذلك. وقد كان هاردينج يركب حصان إريون الأحمر.

ذهب إليهم وقال: «أيها الفرسان .. أنا مدينٌ لكم».

أجاب السير همفري هاردينج: «الدَينُ عند إريون .. ونريد الحصول عليه».

«سمعتُ أنَّ قدَمك قد كُسِرت».

أجابَه: «صحيحٌ ما سَمِعت .. لا أستطيع الوقوف، لكن طالما أني راكبُ الفحل، فأستطيع القتال».

أخذَ رايمون دانك جانِباً: «كنت آمل أن يجد السير هاردينج فرصَة أخرى للنزال أمام إريون، وقد فعل. وهمفري الآخر سيُشارِك معه، فهو نسيب الأول. أمَّا إيغ مسؤول عن إحضار روبين الذي كان يعرِفُه من بطولة سابقة. إذاً الآن لدينا خمسة».



قال دانك مُشيراً بيده: «بل ستَّة». كانَ فارسٌ آخر يدخُل الساحة، ومُرافِقه من خلفِه يجرُّ فحله. «العاصفة الضاحِكة». كان السير ليونيل أطول من رايمون وبطول دانك تقريباً، يرتدي معطفًا من القماش الذهبي يحمل رمز الأيِّل المتوَّج لـ آل باراثيون، ويحمل خوذَة قرن الأيِّل تحت إبطِه. مدَّ دانك يده: «حضرة السير ليونيل، لا أعرف كيف أشكُركَ على قبولِك النزال، ولا كيف أشكُر السير ستيفون على ذلك».

نظرَ إليه بحيرة: «السير ستيفون؟! لقد كان مُرافِقَك هو من جاء إليّ، الصبيّ إيغون. حاوَل فتاي أن يطرده، لكنَّه انزَلق من بين قدميه وصبَّ كأساً من النبيذ فوقَ رأسي». ثُمَّ ضَحِكَ وأردف: «أتعلَم، لم يكُن هناك نزالٌ سباعيٌ منذ أكثر من مئة عام، لن أفوِّتَ على نفسي فُرصَةً كهذه لمُحارَبة الحرس الملكيِّ ولكم أنفِ الأمير مايكار المعقوف وإصلاحِه». وضَحكَ مُجدداً.

«ستَّة». تنهَّدَ دانك بأمل موجِهاً كلامَه لرايمون فوسواي عندما انضمَّ السير ليونيل للآخرين. «بالتأكيد ابنُ عمِّكَ سيأتي بالأخير».

صدرَت جلبةٌ من الجمهور عندما خرَج صفٌ من الفُرسان يُهرولون في الطرف الشماليِّ من المرج وسطَ الضباب. ظهرَ فرسان الحرَس الثلاث أولاً بردائهم الأبيض ودورعِهم اللامعة ومعاطفهم البيضاء الطويلة من خلفهم كالأشباح، كُلُّ شيء كان أبيضاً كحقلٍ تساقطت فيه الثلوج مؤخَّراً، ومن خلفِه ظهر الأمير مايكار وأبناؤه. وقد رَكِبَ إريون على فحلٍ رماديٍّ مكسوٍ بالأحمر والبرتقالي المائل لألوان الغروب. وكان فحلُ أخيه صغيراً نسبيَّاً مُدرَّعٌ بألوان متداخلة من الأسود

والذهبيِّ، وشريطٌ من الحرير الأخضر يخرُج من خوذَته. أما والدهم، فهو الذي ظهرَ بشكلٍ مُخيف. نُحِتَت أسنان تنِّين سوداء حادَّة على درعه الكتفيِّ وعلى طولِ خوذَته وأسفَل ظهره. وكان الصولجان الضخم المشدود المربوط على سرجه يبدو سلاحًا مميتًا ليس كأيِّ سلاح رآه دانك من قبل».

«ستَّة». صحَ رايمون فجأة: «إنَّهم ستَّةٌ فقط».

وقد لاحَظ دانك ذلك أيضاً، *ثلاثُ فرسان سود، وثلاثةٌ بيض، هل من الممكن أنَّ إريون لم يجد السابع؟ ماذا يعني ذلك؟ هل من الممكن أن يتبارزوا ستة إلى ستة إذا لم يجدوا السابع؟*

قفزَ إيغ بجانِبه بينما كان يُفكِّر بالأمر: «سيِّدي، حان الوقت لارتداء الدرع».

«شُكراً أيَّها المرافق. هل ستتمكن من ذلك؟».

قدَّم ستيلي بيت للصبيِّ المُساعدة أيضاً. ألبسوه درعَه الزُرديَّ ذو الحلقات المعدنيَّة مع حاميَة الرقبة، ودرعَ السَّاق والقُفَّازات الحديدية وحاميَة الخصيَتين والرأس، قاما بتحويله لرجلٍ فولاذيّ، وفحصا كُلَّ إبزيم ومشبَك ثلاث مرَّاتٍ على الأقل. وجلسَ السير ليونيل يشحذُ سيفَه بالمشحَذة بينما يتكلَّم بهدوءٍ مع الهمفريَين. والسير روبين يدعو، وكان رايمون يأتي ويجيء مُتسائلاً عن مكان ابن عمَّه وسبب تأخره.



وحينما اكتَمل تدريـع دانك، ظهَر السير ستيفون أخيراً، وقال: «رايمون .. إليَّ بالدرع من فضلك».

قال دانك: «سير ستيفون .. ماذا جرى معك؟ هل وجدتَ أحدهم؟ نحتاج لرجلٍ آخر ليكتَمِل عددنا سبعة».

قال ستيفون بينما يقوم رايمون بربط الجزء الخلفي من الزُرد: «أخشى أنَّك تحتاجُ لاثنين».

لم يفهم دانك: «سيِّدي ... اثنين ؟».

التَقط السير ستيفون قفازَه المصنوع من الحراشف وأدخل يده اليُسرى فيه وهو يُثني أصابِعه، قال: «أرى خمسةً هنا». بينما كان رايمون يربِط حزام السيف. «بيسبيري وهاردينج وريسلينج وباراثيون وأنت».

فقال دانك: «وأنت ... أنتَ السادس».

مُبتسماً قال السير ستيفون: «بل السابع .. لكن السابع للفريق الآخر، حيثُ سأقاتِل مع الأمير إريون والمُدَّعين».

كان رايمون على وشك وضع خوذَة ابن عمَّه، غَضِبَ وتوقَّف وصرخ: «لا».

هزَّ سير ستيفون كتفيه: «بلى ... سيتفهَّم السير دانكين ذلك، لديَّ واجبٌ أؤديه أمام أميري».

قال رايمون بوجه ممتقع: «لقد قُلتَ له أن يعتمد عليك»..

«أحقاً فعلت؟». ثُمَّ أخذَ الخوذَة من بين يديه. «لاشكَّ أني كنتُ صادِقاً في ذلك الوقت. الآن، اجلِب لي حصاني».

ردَّ رايمون بغضب: «اجلِبه لنفسك ... إذا كنتَ تعتَقِد ولو للحظة أنّ ّي أريد أن أكون جُزءاً من هذا، فإنَّك بليد بقدر ما أنك سافل».

ردَّد السير ستيفون زامَّاً شفتيه: «سافل؟ احفَظ لسانَك يا رايمون. كِلانا تُفاحٌ من نفس الشجرة. وأنت مُرافقي. أم هل نسيت قَسَمك؟».

«لا، لكن هل نسيتَه أنت؟ لقد أقسَمت أن تكونَ فارِساً».

«وسأسعى لأكون أكثر من مُجرَّد فارِس قبل نهاية اليوم: اللورد فوسواي. يُعجبني وقعُ ذلك». ابتسم، وسحب قفازه الأخرى، واستدار مُبتعداً عبر الساحة للوصول إلى حصانِه. كان الجميع ينظُر إليه نظرات ازدراء، لكن أحداً لم يُحاول إيقافَه.

رأى دانك السير ستيفون يقود فحلَه عبر الميدان إلى الجهة المقابلة. كان يقبِض بيديه الاثنتين شاعِراً بغضبٍ، لكن لا كلمات ستُحرِّك أمثالَه.

«نصِّبني فارِساً». ووضع رايمون يده على كَتِف دانك وأداره. «سآخذُ مكان ابن عمِّي يا سيِّد دانكين». ثُمَّ جثى على ركبَتِه. «نصِّبني فارساً».

عابِساً، حرَّك دانك يده إلى قبضَة سيفِه الطويل، وتردد قائلاً: «رايمون .. لا ينبغي فعل ذلك».

«بل يجب فعل ذلك. بدوني، أنتم خمسةٌ فقط».

قال السير ليونيل باراثيون: «الفتى مُحقٌّ بشأن هذا ... افعلها يا سير دانكين، أيُّ فارِس يستطيع تنصيبَ غيره فارِساً».

سأل رايمون: «هل تشكُّ بشجاعتي؟».

ما زال التردد واضِحاً: «لا ... أعني ليس هذا ... ولكن ... ».

هدرت أصواتُ الأبواق قاطِعةً المشهد الضبابيّ، وجاء إيغ مُسرعاً نحوهم: «سيِّدي .. اللورد آشفورد يستدعيك».

هزَّ العاصفة الضاحكة رأسَه بتوتُّرٍ وقال: «اذهب إليه يا سير دانكين، وأنا سأمنَح هذا الفتى لقَب الفروسيَّة». استلَّ سيفَه من غمدِه، وانحنى دانك جانِباً. «رايمون آل فوسواي». ثُمَّ بهدوء وضع سيفَه على كتِف المُرافِق الأيمن. «باسم المُحارب، أوصيكَ بأن تكونَ شُجاعاً». ثُمَّ حرَّك السيف للكتف الأخرى. «باسم الأب، أوصيكَ أن تكونَ عادِلاً». وأعاد السيف لليمين. «باسم الأم، أوصيكَ بالدفاع عن الصِغار والأبرياء». وإلى اليسار مرَّة أخرى. «باسم العذراء، أوصيكَ أن تحمي النساء ...».

تركَهُم دانك هناك شاعِراً بالارتياح وقليل من الذَنب. *ما زال ينقُصنَا واحِد.* فكَّر بينما آتاه إيغ فحله رعد. *أينَ سأجِدُ رجلاً آخر؟* رَكِب الحِصان وساقَه ببطئ نحوَ منصَّة المُشاهدة حيث يقِفُ اللورد آشفورد بانتظاره. ومن الطرف الشماليِّ للمضمار، أتى الأمير إريون لمُقابَلته، قال بسُخريَة: «سير دانكين، يبدو أنَّ لديك خمسَ فرسانٍ فقط».

«بل ستَّة .. يقوم السير ليونيل الآن بتنصيبِ رايمون فوسواي فارِساً ليركَب معنا. سنقاتِلكُم ستَّة ضد سبعة». وأكمَل بنفسِه: فالفرسان يفوزون بظروفٍ أسوأ من هذه حتَّى.

لكنَّ اللورد آشفورد هزَّ برأسِه: «هذا غير مسموحٌ به يا سيِّد دانكين. إذا لم تتمكَّن من العثور على فارس آخر ليقِفَ بصفَّك، فيجب أن نُعلِنَ عن إدانتك بالجرائم التي اتُّهِمتَ بها».

جريمة! جريمةٌ بتكسير أسنانِ أحدهم ويجب إدانتي على ذلك. «سيِّدي اللورد، استأذِنُكَ للحظات».

«لكَ هذا».

عاد دانك راكباً ببطئ عبرَ على طول السياج. كانَت منصَّة المُشاهدة مُزدَحمة بالفرسان، صاحَ بهم: «أيُهَّا السَّادة، ألا يتذكَّرُ أحدُكم السير آرلان البينيتري؟ لقد كنتُ مُرافِقَه، وخدمنا كثيراً منكم، أكلنا على طاولاتِكم ونِمنا في قاعاتِكُم». ثُمَّ لمَح السير مانفريد دوندارون يجلِسُ على الطبقة العلويَّة. «سير آرلان أصيبَ بجرح بليغٍ في خدمة السيِّد والِدك». لكنَّه تجاهَله مُحدِّثاً الرجل العجوز بجانِبه. فاضُطر دانك للمشي بضع خطواتٍ أخرى. «أيها اللورد لانيستر، أتذكَّر أن السير آرلان قد أطاحَك عن حِصانكَ مرَّة في أحد البطولات». تجنَّب الأسد الرماديِّ النظر إلى عينيه

وقعد يتفحَّصُ قُفازيه. «لقد كان السير آرلان رجُلاً صالِحاً، وعلَّمني كيفَ أكون فارِساً، ليس فقط الرُمح والسيف، بل كيف أحفظ عهودي كفارِس. وهذا كُلُّ ما فعلتَه، لقد دافعتُ عن الأبرياء. كُلُّ ما ينقصني هو فارسٌ واحد. واحد فقط ليُقاتِل بجانبي، هذا كل شيء. اللورد كارون؟ اللورد سوان؟». ضحك اللورد سوان بهدوء بينما همس اللورد كارون في أذنه.

لم يستطع دانك كبح جِماحه، وواصل خافِضاً صوتَه: «سير أوثو براكين. الجميعُ يعرفونَك، أنتَ فارسٌ وبطلٌ عظيم. انضَمَّ إليِّ، أتوسَّلُ إليك، باسم الآلهة القديمة والجديدة. إن قضيَّتي عادلة».

«قد تكونُ كذلك». أجابَ وحش براكين الذي تحلَّى بهذه الصفة على الأقل. «لكنَّها مُشكِلتُكَ، وليست مُشكلتي. أنا حتَّى لا أعرفكَ يا فتى».

خائباً، ساقَ حصانَه جيئةً وذهاباً بسرعة أمام حفنة الرجال أولئك الغير مكترثين، إلى أن صرخَ فيهم: «أليس منكم فارسٌ حقيقيٌ؟».

لم يُجبه سوى الصمت.

ضحكِ الأمير إريون في الطرف الآخر من الميدان قائلاً: «لا أحد يستهزئ بالتنِّين».

ثُمَّ جاء صوت: «سوف آخذُ صفَّ السير دانكين».

ظهرَ فحلٌ أسود أمام ضبابِ النهر، وفارسٌ أسودٌ كالليل على ظهره. رأى دانك درع التنِّين الأحمر القاني، والتنِّين ثُلاثيَّ الرؤوس على منحوتاً على خوذَتِه. *الأمير الشاب، لتباركني الآلهة، هل هذا حقاً هو؟*

ارتكب اللورد آشفورد ذات الخطأ سائلاً: «الأمير فالار؟».

«كلَّا». رفعَ الفارس الأسود قناع خوذَتِه. «لم أكُن أريد المُشارَكة في المباريات يا سيِّدي، لذلك لم آتِ بدرعي. لكن ابني الصالِح أقرضني درعه لهذا الغرض». وظهرت ابتسامةٌ حزينَة على مُحيَّا الأمير بايلور.

لاحَظ دانك أن المُدَّعينَ وقعوا في حيرة إلى أن اندفع الأمير مايكار بفحلِه نحوه: «هل فقدتَ عقلكَ يا أخي؟». ثُمَّ أشارَ بإصبَعه نحوَ دانك. «هذا الرجل اعتدى على ابني».



«بل هذا الرجل حمَى الضُعفاء كما يتوجَّب على أي فارس عمله .. فلندع الآلهة تُحدِّد ما إذا كان مُذنِباً أو بريئاً». ثُمَّ ضرب الحِصان ليتحرَّك فحلُ فالار الأسود الضخم ويهرول إلى الطرف الجنوبيِّ من الميدان.

وساقَ دانك حِصانَه كذلك ليتجمَّع مع فريقِه: *السير روبين ريسلينج، والسير ليونيل باراثيون، والهمفريَين. جميعُهم رجال صالحون، لكن هل هم جيِّدون بما يكفي؟* ثُمَّ لاحظ غياب أحدهم: «أينَ رايمون؟».

«السير رايمون إذا سمحت». وظهر على حصانِه بابتسامة تعلو وجهه تحت خوذَته الريشيَّة. «عُذرَاً يا سيِّدي، احتجتُ أن أقوم بتغيير طفيف على شعاري، حتى لا أكون مُتشابِهاً مع ابن عمِّي وفعلته المُخزيَة». ثُمَّ رفع درعه ليروه، كانت الخلفيَّة الذهبية كما هيَ، إلَّا أن التُفاحَة هذه خضراء وليست حمراء. «أخشَى أنني مازلتُ تُفاحةً غير ناضجة .. لكن الخُضرَة أفضل من العَفن صحيح؟».

ضَحِكَ السير ليونيل، وابتسم دانك بغير نفس. حتَّى الأمير بايلور بدا موافِقاً.

أتى سيبتون اللورد آشفورد إلى مقدِّمة المنصَّة، رافِعاً قلادته الكريستاليَّة داعياً الجمهور للصلاة.

قال بايلور بهدوء: «ركِّزوا معي جميعاً .. المُدَّعين سيكونونَ مُسلَّحين برماحِ حربٍ ثقيلَة في الجولَة الأولى. رماحٌ من الخشبِ القويِّ بطول ثمانيَة أقدام، مربوطَةٌ معاً لتكونَ ضِدَّ الكسر، وعلى رأسِها فولاذٌ حادٌّ بما يكفي لتنغَرِز برأسِ الحصان وتخرج من الطرف الآخر».

قال السير همفري بيسبيري: «يتوجَّب علينا استخدام ذات الرِماح». ومن خلفِه كان السيبتون يدعو السبعَة للرحمَة والغفران والحُكمَ بهذه القضيَّة، ومنح النصر للرجال أصحاب الحقَّ.

أجاب بايلور: «كلَّا .. سوف نتسلَّح برماح البطولة القياسيَّة بدلاً من ذلك».

أشار رايمون: «رماح البطولة مصنوعةٌ للكسر».

«كما أنَّها مصنوعة ليكونَ طولُها اثني عشر قدماً. إذا عيَّنا أهدافنا بدقَّة فلن يستطيعوا لمسَنا. قوموا باستهداف الخوذَة أو الصدر. في المباريات، من البسالَة أن يُكسَر رمحك على درع العدوِّ، ولكن هنا يعني الموت، إذا تمكَّنا من إسقاطِهم والحِفاظ على سروجِنا، فإن الأفضليَّة لنا». ثُمَّ نظر إلى دانك. «إذا قُتِلَ السير دانكين، فهذا يعني أنَّ الآلهة قد حكمت بأنَّه مُذنِب، وينتهي النزال حينها. وإذا قُتِل كل المُدَّعين أو سحبوا ادِّعائاتِهم ينتهي النزال. وبالمثل إذا مات جميع الرجال من أحد الأطراف أو استسلموا، ينتهي النزال».

قال دانك: «الأمير دايرون لن يُقاتِل».

ضَحِكَ السير ليونيل: «هذا ليس جيِّداً».

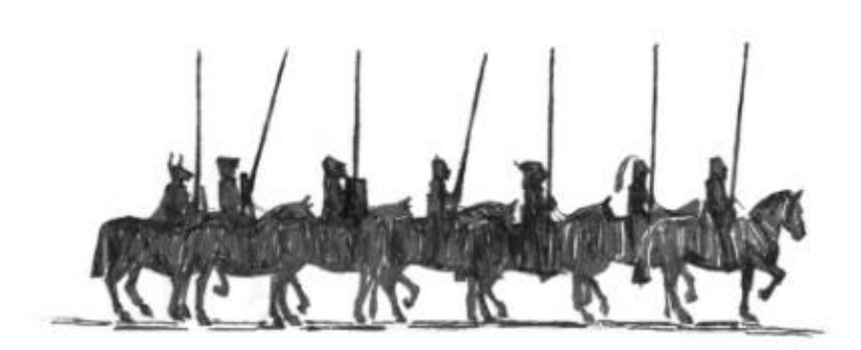
«ولدينا ثلاثة من ذوي المعاطف البيضاء لنتعامَل معهم».

تنفَّس بايلور بهدوء: «لقد أخطأ أخي بالطبع حينَ طلبَ من الحرس الملكيَّ أن يُقاتِلوا من أجلِ ابنه. إنَّ قَسمَهم يمنعُهم من إراقة الدماء التي يحمونها. ولحسن الحظ، أنا من دماء التنِّين». ثُمَّ ابتسم ابتسامة خافِتة. «ابعدوا الآخرين عنِّي لفترة، وسوف أتعامل مع الحرس الملكيِّ».

«حضرة الأمير .. هل هذا فروسيِّ؟». سأل السير ليونيل باراثيون بينما كان السيبتون يُنهي دعواته.

أجاب بايلور بريكسبير: «ستُعلمنا الآلهة بذلك».

***





سادَ صمتٌ عميق عبر مرج آشفورد.

على بُعدِ ثمانين ياردا، كان الفحل الرماديُّ للأمير إريون يضربُ الأرض الموحِلة بفارغ الصبر، مقارنَةً بـ رعد الساكِن تماماً، فحلٌ كبيرٌ، كان قد خاضَ نصف مئة نزال على الأقل، ويعرفُ تماماً ما عليه القيام به. سلَّم إيغ الدرع لـ دانك قائلاً: «لتحفظكَ الآلهة يا سيِّدي».

أعطاه درع شجرة الدردار يعولها الشهاب. حرَّك دانك ذراعة اليُسرى ليُمسِك مقبَض الدرع. *بلُّوط وحديد احموني جيِّداً، أو أنِّي سأموت ومصيري جحيماً.* وجلَب ستيلي بيت رمحه إليه، لكن إيغ أصرَّ على أن يكونَ هو من يضعه في يده.

كِلا الجانبين الآن، حمَل مُرافقوا الفرسان رماحَهم ووقفوا بطابورٍ طويل وأعطوها لهم. كان الأمير بايلور عن يمينه والسير ليونيل إلى يساره. لكن فتحة الرؤيَة الضيِّقة لخوذَتِه الكبيرة حدَّت من رؤيته لما كان أمامه بشكل كامل. احتجبت منصَّة المُشاهدة عن ناظريه، وبالمثل، لم يستطيع رؤية القرويّين الواقفين خارج الساحة. لم يكُن هناك سوى المرج الموحِل والضباب الشاحِب، والنهر والبلدة والقلعة إلى الشمال، والأمير أمامَه مُباشرةً مع لهبٍ على خوذَتِه وتنِّينٌ على درعه. رأى دانك مُرافِق إريون يُعطيه رمح الحرب ذو الثمانيةِ أقدام بسواد الليل. سوفَ يغرزُه بقلبي مباشرةً إذا استطاع.

ودوى صوتُ البوق.

أحسَّ دانك بنبضِ قلبه. ظلَّ ساكِناً كذبابةٍ مُحاطة بالكهرمان، رغم أن جميع الخيول بدأت بالتحرُّك. أحسَّ برعشة ذُعرٍ في جسده. *نسيت .. لقد نسيتُ كل شيء .. سأُخزي نفسي .. سأفقد كل شيء.*

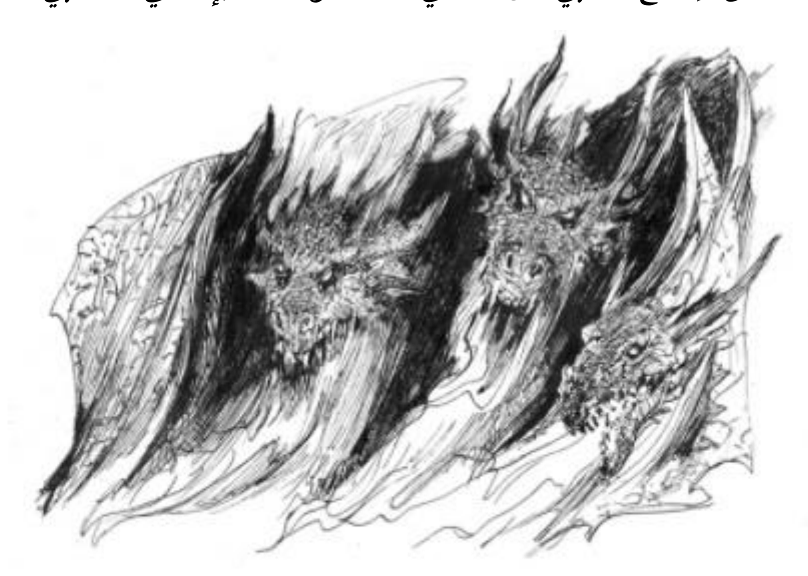
أنقَّذه رعد من السكون. *فحل العجوز يعلمُ ما عليه القيام به حتَّى لو لم يعلم راكبه.* كسرَ السُكون بهرولةٍ بطيئة، تدرَّب عليها دانك مُسبقاً، لمسَ حصانَه بلطف يحثُّه على المضيّ، وعيَّن رمحه. وفي الوقت نفسِه حرَّك درعه ليحمي الجُزء الأيسَر من بدنه ممسكاً إيَّاها بزاوية. *بلُّوط وحديد احموني جيِّداً، أو أنِّي سأموت ومصيري جحيماً.*

لم يكُن صخب الجمهور أعلى من صوت الحوافِر. بدأ رعد بالركض، اصطكَّت أسنانُ دانك ببعضها بعنفٍ جرَّاء الاصطدام العنيف بالأرض. ثنى كعبيه لأسفل، وشدَّ ساقيه بكل قوَّة وترك جسده يصبح جزءًا من حركة الحصان تحته. *أنا رعد .. ورعدٌ أنا .. نحن كيانٌ واحد .. مُتحدون معاً.* كان الهواء داخل خوذته ساخنًا لدرجة أنه كان يتنفس بصعوبة.

في نزالات المُحاكَمة، سيكونُ خصمُه إلى يسارِه خلف السياج، لذا سيتوجَب عليه تحريك رمحِه بميلانٍ ليمُرَّ عبرَ رقبة رعد، وهذا سيزيدُ من احتمال تحطُّم الخشب عند الاصطدام، لكن

هذه اللُعبَة أكثَر إماتَة، فلا وجود لسياجٍ بينَهم، ستتقابل الأحصنة بشكلٍ مباشر. كان الفحلُ الأسود للأمير بايلور أسرَع بكثيرٍ من رعد، لمَحه دانك من خلال فتحة خوذَته الضيِّقة يتقدَّم بسرعة. *لا تهتم بأحد الآن. فقط إريون هو المُهم. فقط هو.*

رأى التنين يتقدَّم نحوه. تناثرت بقع الطين من حوافر فحلِ الأمير إريون الرمادي، واستطاع دانك الشعور بنفثات منخري الحصان. لا يزال الرمح الأسود مائلاً إلى أعلى. أخبَره العجوز مرَّةً أنَّ الفارس الذي يُخاطر بإبقاء الرمح لأعلى ويُنزِله في اللحظة الأخيرة فإنَّه على الأغلب سيُنزله دونَ المستوى. على كُلِّ حال، عيَّن دانك رمحه ليلمِسَ مُنتَصف صدر الأمير. *رُمحي هو جزءٌ من ذراعي، إنَّه إصبَع سادس، إصبَعٌ خشبيٌّ. كُلُّ ما عليَّ فعله هو لمسه بإصبعي الخشبيِّ الطويل.*



حاوَل أن لا يُركِّزَ على الرأس الحديديِّ المُدبَّب في رمح إريون الأسود وهي تكبُر أكثر مع كُلِّ خطوة. *التنِّين .. أبقِ نظرَكَ على التنِّين.* غطَّى الوحش الضخم ذي الرؤوس الثلاثة درعِ الأمير مع النار المُلتَهبة. *كلَّا .. انظر فقط للمكان الذي تستهدِفه.* ذكَّر نفسَه بذلك، لكنَّه تأخَّر. فقد بدأ رمحه بالفعل بالانزلاق خارجِ النقطة. حاوَل تصحيح المسار، لكن الأوان قد فات. رأى رأس رُمحِه يضرب درع إريون بينَ أحدِ الرأسين تحت اللهب الساطِع، ثُمَّ انزلَق الرمح ليشعُر بهدير رعدٍ من تحته، مُرتجفاً من قوَّة التأثير. وبعد نصف نبضَة قلب، اصطدم شيء ما في جانبه بقوة مروعة. كان اصطدام الخيول ببعضها عنيفاً ومروِّعاً وتحطَّمت دروعها الحامية وتعثَّر رعد بها وسقط رمح دانك من يده. ثُمَّ ناوَرَ عدوَّه مُحاوِلاً تثبيت نفسه على السرج واستعادَة توازُنِه. ترنَّح رعد على الأرض الموحِلة وشعَر دانك بحوافِره الخلفيَّة تقتربُ من الأرض. كان ينزلق ولكنَّه يُحاول النهوض، فصفعَ دانك الفحل بقوَّة: «انهض».. زأر دانك واخِزاً الخيل: «انهض يا رعد».. وبطريقةٍ ما، استطاع الحصان العجوز الوقوف مجدداً قبل السقوط.

كانَ يشعُر بألمٍ فظيعٍ تحت ضلوعِه، وشعرَ بذراعه اليُسرى تسحَبُه لأسفل. كان إريون قد غرسَ رمحه في البلّوط والفولاذ. ثلاثُ أقدامٍ من رمحه الأسود المكسور علِقَ بضلوع دانك بجانبه الأيسر. مدَّ دانك يده اليُمنى، وأمسَك الرُمَح المغروز أسفل رقبَتِه مباشرةً، عضَّ على أسنانه، وانتزَعه من بين ضلوعِه بسحبةٍ واحدة مؤلمة. وفارَ الدم عبرَ حلقات درعه ليتلوَّن معطفه بالأحمر، غابَ قلبُه وكاد أن يسقُط. وخلال الألم، سمِع صوتاً خافِتاً يُنادي باسمه. درعه الجميل

أصبَح بلا قيمَة الآن، ألقى بكُلِّ شيء جانِباً، الدرع بشجرة الدردار والشهاب ورمحه المكسور، وسَحبَ سيفَه. لكنَّه أُصيبَ بأذى شديد لدرجة أنَّه لم يستطع التلويـح به.

حرَّكَ دانك فحله بدائرة ضيِّقة ليرى ما يحدُث حوله في الميدان. تشبَّثَ السير همفري هاردينج برقبة حصانِه بإصابَةٍ بالِغة. ورقد السير همفري الآخر بلا حراك في بحيرة من الطين الملطخ بالدماء، وبرز رمح مكسور من بين فخذيه. رأى الأمير بايلور يركض سليماً يُطيح بأحد الحَرس، وقد كان الفرسان البيض قد سقطوا بالفعل، وأُطيحَ بالأمير مايكار أيضاً، والثالثُ من الحرس أطاحَه السير روبين.

إريون .. أين إريون! جعلَ صوتُ قرع الحوافِر العاليَة دانك يستدير مُسرِعاً باتجاهها. خارَ رعدٌ وانتصَب، واندَفعت حوافِره بلا طائل بينما كان فحلُ إريون الرماديِّ يندَفعُ نحوه بأقصى سرعة.

هذه المرَّة، لم يكُن هناك أملٌ بتفاديه، أخذَ سيفُه الطويل بالدوران مُبتعداً عنه، وهبطَ لمقابَلة الوحل، واصطدَم بشكلٍ مباشَرٍ بالأرض صدمةً نخرت عظامَه وكتمت على صدرِه فحاوَل أخذَ أنفاسٍ عميقة. شعرَ بالألم في جسده، وشهقَ بعمق. وللحظة، كان أقصى ما يمكنه فعله هو الإستلقاء هناك شاعِراً بطعم الدم في فمه. *دانك الأحمق .. يجب أن تكونَ فارِساً.* يجب أن يستجمِع قوَّته مرَّة أخرى، أو يموت من فوره. تأوَّه. أجبَر نفسَه على القيام على يديه وقدميه، لم يستطع التنفُّسَ ولا الرؤية، كانَت فتحَة الخوذَة مملوءةٌ بالوحل. تمايَل دانك الأعمى على قدمَيه وكشَط الطينَ المُتجمِّع على خوذَتِه بيده. *هناك .. إنَّه ..*





ومن بينِ أصابِعه، لمَح التنِّينَ قادِماً نحوه، مُلوِّحاً بسلاحِه نجمة الصباح نحو رأسِه.

عندما فتَح عينيه، كان على الأرض مُجدَّداً ممدوداً على ظهره، استطاع مسحَ الطين من على خوذَتِه بيده وفتحَ عيناً واحدة، أما الأخرى فكانت مُلطَّخةً بالدماء. لم يرى في الأعلى سوى سماءٍ رماديَّة مُلبَّدةٌ بالغيوم. كان وجهه ينبض، وأمكَنه الشُعور بمعدنٍ رطب بارِد يضغطُ على خدِّه وصدغِه. *لقد كسرَ رأسي، وها أنا ذا أحتَضِر.* والأسوأ أن الآخرين سيموتونَ معه، رايمون والأمير بايلور والآخرون. *لقد خذلتُهم .. أنا لستُ بطلاً، ولا حتَّى فارسٌ متجوِّل .. أنا مُجرَّد نَكِرة.*

وظهر التنِّينُ فوقه.

ثلاثُة رؤوس، وأجنِحَة من اللهب الساطِع، حمراء وصفراءٌ وبرتقاليَّة. بدأ بالضَحِك: «ألم تمُت بعد؟ أيَّها الفارِس المتجوِّل .. ترجَّى من أجلِ العيش واعترف بجريمَتِك، وربما سأطالب فقط بيد وقدمٍ واحدة. أووه وتلك الأسنان أيضاً، ولكن ماذا تعني الأسنان أمامَ خسارة يدك ورجلَك من خلاف؟ يمكنكَ العيش لسنواتٍ على حساء البازِلّاء». ضحك التنِّين مرَّة أخرى. «لا؟ لا تريد ذلك؟ إذاً ...» لوَّح بالكُرة المُدبَّبة في السماء، وسقطت نحوَ رأسِ دانك بسرعةِ سقوط الشُهب.

تدحرَج دانك.

لا يعرف كيفَ جاءته القوَّة لتفادي ذلك، لكنَّها أتت وحسب. تدحرَج مُجدداً نحوَ ساقَي إريون، وتشبَّث بدرعه المكسور حول فخِذه، وسَحبَه ليسقُط فوراً ويعلو فوقَه مُثبِّتاً إيَّاه. فليُلوِّح بسلاحِه الآن. حاوَل الأمير المُقاوَمة وصفع رأسِ دانك، لكن خوذَته امتصَّت كُلَّ التأثير. كان إريون قويَّاً، لكن دانك كان أقوى وأضخَم وأثقل. سحَب درع الأمير بكلتا يديه وثناه حتَّى انبّعجت قبضَته، ثُمَّ ضربها بقوَّةٍ على رأسِ خوذَة الأمير، مراراً وتكراراً مُحطِّماً ألسِنة اللهب المنحوتَة عليها. كانَ الدرع أسمَك مما يحمِله دانك، من خشب البلُّوط والفولاذ. انخَلعت الأولى، ثُمَّ الأخرى.



أفلَت إريون هراوة نجمة الصباح ذات الطرف المُدبَّب من يده عديمَة الفائدة، وانثَنى ليَصِل إلى خنجرِه في وركِه، وأخرَجه من غمده، لكن دانك انتَبه لذلك فضَرب يده بالدرع ليطير الخنجَرُ سابِحاً في الطين.

كان بإمكانِه هزيمَة السير دانكين الطويل، لكن ليس دانك البراغيثي. علَّمه العجوز المُبارزة والتلويحَ بالسيف، لكن هذا النوع من القِتال كان قد تعلَّمه في وقتٍ سابق في أزقَّة المدينة وبين الحارات الخفيَّة. ألقى دانك الدرع المُحطَّم بعيداً وفتَح طبقة الحماية في خوذَة إريون، تذكَّر ما قاله ستيلي بيت عن أنَّ نقطة الضعف هي طبقة الحماية. لكنَّ الأمير كان قد توقَّف عن المقاومة، بعينَين أرجوانيَّتين مليئتين بالرُعب. ودَّ دانك أن يفقأ أحد عينيه بأصابعه الحديديَّة، لكنَّه ليسَ تصرُّفاً يليق بفارِس. صاحَ به: «استسلم».

«أنا أستسلم». همس التنين، وشفاهُه الشاحبة بالكاد تتحرك.

تراجَع دانك عنه. لوهلةٍ لم يُصدِّق ما سمعه بأذنيه. *إذاً، هل انتهى كُل شيء؟* وأدارَ رأسَه ببطئ من جهةٍ لأخرى مُحاوِلاً أن يرى، فلم يكُن يرى بوضوح عبر فتحة الخوذَة بسبب الضربة التي أصابت جانب رأسِه الأيسر. لمَح الأمير مايكار يحمل صولجاناً يُحاول شقَّ طريقِه نحوَ ابنه، لكن الأمير بايلور يمنعه.

ترنَّح دانك على قدميه ومن خلفِه الأمير إريون مستلقٍ على ظهره، ثُمَّ تحسَّس رباطَ خوذَته ونزعها وألقاها جانِباً، وفي الحال اتَّضحَ له المشهد أمامه، همهماتٌ وشتائِم، وصرخاتُ الجمهور. سَمِع صوتَ لجب الفحل، وآخرٌ يعدو دونَ راكب عبر ميدان المعركة. ورنين المعادِن في كُلِّ مكان، رايمون وابن عمِّه كانا يتقاتلان أمام منصَّة المُشاهدة، ومن حولِهما تناثرت قطع دروعهم الفولاذيَّة، حيثُ تحطَّمت درع التفاحة والحمراء والخضراء على حدٍّ سواء. وفي جهةٍ أخرى، كان أحد رجال الملك يحمِلُ أخاه في القسم المُصاب، بدا كلاهُما مُتشابهان في معاطفهم البيضاء، أمَّا الثالث واقِعٌ على الأرض. وانضمَّ العاصِفة الضاحِكة إلى الأمير بايلور ضد الأمير مايكار، اشتَبك الصولجان مع البلطَةُ الحربيَّة والسيف الطويل مُصدرينَ رنيناً قويَّاً. *يجبُ أن أُنهي الأمر قبل أن يقع قتلى آخرون.*

تحرَّك الأمير إريون بشكلٍ مُفاجِئ ليأخُذ هراوته المُدبَّبة، فركَله دانك على ظهره وخبط رأسه إلى أسفل، ثُمَّ أمسَك بإحدى ساقيه وجرَّه عبرَ الحقل. وبوصولِه إلى منتصف منصَّة المُشاهدة، صار الأمير اللهب الساطع بُنيَّاً كالخراء. حمَله دانك على قدميه وهزذَه بقوَّة ليتساقط الوحل من وجهه. قال له آمراً: «أخبره»..

بصقَ الأمير إريون اللهب الساطِع على العُشب والأوساخ: «أنا أسحب إدِّعاءاتي».



كانَ جسدُ دانك يتألَّم من جميع الأعضاء، وبعض الأماكِن أسوأ من غيرها، لم يستطع بعد ذلك سوى طلب المساعدة فقد خارَت قواه تماماً. *هل أنا فارسٌ حقيقيٌّ الآن؟ هل صرتُ من ضمن الأبطال؟*

اجتَمع الفُرسان حولَه، وساعده إيغ بنزع حاميَة الساقين وحاميَة الصدر، وكذلك فعل رايمون وحتَّى ستيلي بيت. لقد كان دايخاً لدرجة أنَّه لم يستطع التفريق بينهم، كانوا مُجرَّد أصابعٍ وأصوات. ثُمَّ أدركَ أن بيت هو من مكان يتذمَّر: «انظروا ماذا حلَّ بالدروع .. جميعُها معطوبةٌ ومنبَعِجَة .. أوووه أتعلم ما المزعج في هذا؟ أخشى أن عليَّ قطعَ هذا الدرع عن جسده».

قال دانك: «رايمون». مُمسِكاً بيد صديقه. «الآخرين .. ماذا حلَّ بالآخرين؟». كان عليه أن يعرِف. «هل ماتَ أحدٌ ما؟».

«بيسبيري .. قتله دونيل الداسكِنداليّ في الهجوم الأوَّل. والسير همفري الآخر أُصيبَ بجروحٍ خطيرة. عدا ذلك بقيُّتنا أُصِبنا بكدماتٍ وخدوش فقط لا أكثر، لسلامَتِك».

«وهم؟ المُدَّعين؟».

«نُقِل السير ويليام وايلد خارج الميدان بجروحٍ خطيرة، وأعتقد أني كسرتُ عدداً لا بأس به من ضلوع ابن عمِّي .. أو بالأحرى، آمل ذلك».

وصرخ كأنَه تذكَّر فجأة: «والأمير دايرون .. أصابه شيء؟».

«بمجرَّدِ أن أسقَطه السير روبين، استقلى حيثُ وقع. أعتقد أنَّ ساقه ربما كُسِرت، فقد داسَه الحِصان وهو يركُض في الميدان».

شعَر بارتياحٍ كبير مع الدوار والحيرة. «كان حُلمه خاطئاً إذاً. التنين الميِّت. إلَّا إذا ماتَ إريون، لكنَّه حي، ألَيس كذلك؟».

أجابه إيغ: «بلى .. لقد رحمَته، ألا تتذكَّر».

«ربما». كانَت ذاكِرتُه حولَ القتال قد تشوَّشت بالفعل. «في لحظةٍ أشعُر بأني مخمور، وفي الأخرى أحسُّ بنهايتي وشيكة».

ثُمَّ مدَّدوه على الأرض على ظهره ليستريح، وتحدَّثوا من فوقِه وهو يُشاهِد السَّماء الرماديَّة العَكِرة. بدا لـ دانك أنَّهم مازالوا في الصباح، وتساءل كم من الوقت استغرَق القتال.

سَمِع رايمون يقول: «لترحمه الآلهة .. لقد غُرِزَ الرمح عميقاً في جسده .. مالم نقوم ...».

اقتَرح أحدهم: «اجعله يشرب، واسكُب بعضَ الزيت المغليَّ على الجرح .. المايسترات يقومون بتطهير الجِراح بهذا الشكل».

«النبيذ». كان للصوت رنينٌ مجوَّف. «ليس الزيت، الزيت سيقتُله. نحتاج نبيذاً مغليَّاً .. سأُرسِل المايستر يورمويل ليُلقي نظرة عليه بعد أن ينتهي من أخي».

***



وقف فارس طويل فوقه، مرتديًا درعًا أسوداً ومصابًا بندوب كثيرة. الأمير بايلور. كان قد اختفى أحدُ رؤوس التنِّين القُرمزي المنحوت على خوذَته بالإضافة لجناحَيه وذيله. «سموَّ الأمير .. أنا رجُلك .. أنا من سيخدمك».

«رجلي». ووضع الفارس الأسود يده فوق كتف رايمون ليثبِّتَ نفسه. «أنا بحاجةٍ لرجالٍ صالحين من أمثالِكَ يا سير دانكين .. المملكة ...». وقطع جملته، بدا صوتُه متحشرجاً. ربما عضَّ لسانه.

كان دانك مُتعباً جداً ولا يقوَ على البقاء مُتيقِّظاً. كرَّر مرَّة أخرى: «رجلك».

حرك الأمير رأسه ببطء من جانب لآخر: «سير رايمون .. الخوذة .. من فضلك .. وطبقة الحماية .. مكسورة .. وأصابعي .. تبدو كالخشب».

«في الحال، سموَّ الأمير». تولَّى رايمون أمرَ الخوذَة بكلتا يديه، ونخرَ قائلاً: «مساعدة يا بيت».

سحَب ستيلي بيت كُرسياً ليصعد عليه. «لقد التَصق مُتحطِّماً من الخلف سموَّك، نحو اليسار، عند حامي الرقبة، ياله من فولاذ قويٍّ لإيقاف هذه الضربات».

قال بصوتٍ متثاقِل: «صولجان أخي على الأغلب .. إنَّه قوي». جفل. «هذا الشعور الغريب .. أنا...».

قال بيت: «ها نحنُ ذا». ورفَع الخوذَة بقوَّة ورماها بعيداً. «لترحمه الآلهة .. يا إلهي .. يا إلهي .. يا إلهي ...».

رأى دانك سائلاً أحمر ينسكبُ من الخوذَة، وشخصٌ ما يصرخ مذعوراً. وأمامَ السَّماء الرماديَّة القاتِمة، تمايَل أميرٌ طويلٌ يرتدي درعه السوداء مع نصفِ جمجمةٍ فقط. كان يرى دماءً حمراء، وعِظامٌ شاحِبَة فوقها وشيءٌ آخر .. شيءٌ رماديٌّ مائل للأزرق اللحمي. وكسحابَةٍ صيفيِّةٍ تمرُّ عبر الشمس، ظهرت على مُحيَّاه علامات الاستغراب. رفعَ يده، ولمسَ مُؤخِّرَة رأسِه بخفَّةٍ شديدة، وبعد ذلك .. سقط.

أمسَكه دانك، وصرخ كما فعل مع رعد: «انهض .. انهض .. انهض». لكنَّه لم يتذكَّر ما حدث بعد ذلك. والأمير لم ينهض مُجدَّداً.



رحلَ الأمير بايلور آل تارجاريان، وليُّ العهد، أمير دراغونستون، يدُ الملك، وحامي البلاد، والوريث الأول للعرش الحديدي في الممالك السبعة. وُضِعَ جُثمانُه في ساحة قلعة آشفورد على الضفَّة الشماليَّة لنهر كوكلسوينت لإحراقها. قد تختار العوائل النبيلة الأخرى دفن موتاها في تجويف الأرض المظلمة، أو إغراقُهم في البحر البارد. لكن عائلة تارجاريان من سلالة التنانين، لذا نهايتهم تكونُ مضيئة.

لقد كانَ أفضَل فارِسٍ في زمانِه، وجادَل البعضُ أن عليهِم إلباسَه دِرعه ليواجِه العالم الآخر الظلاميِّ بدرعه السوداء الفولاذيَّة وسيفٌ في يده. في النهاية نُفِّذت رغباتُ والده الملك دايرون الثاني ذو الطبيعة المُسالِمة. اقتَرب دانك من نعشِ بايلور، كان الأمير يرتدي سُترة سوداء مخمليَّة مع تنِّين ثُلاثيِّ الرؤوس مُخاطٌ بالقرمزيِّ على صدره، وحولَ حلقِه سلسلةٌ ذهبيَّة ثقيلة، وسيفُه مغمودٌ إلى جانبه، ويرتدي خوذَة ذهبيَّة مفتوحةً ليتمكَّن الجميع من رؤية مُحيَّاه.



وقفَ الأمير الشاب فالار بتأهُّبٍ عند نهاية النَعش، بينما كان والِده مُمدَّداً بحالة سكون. كانَ نُسخةً أقصر وأنحف من والِده، عدا أنفُه المنبعج الذي يجعله يبدو من العامَّة، وكان شعرُه بُنيَّاً عدا خُصلةٍ ذهبيَّة تمرُّ عبره، ذكَّره المشهد بـ إيغ، كانَ شعرُه المُضيء ينمو مُجدداً كشعرِ أخيه، كان مظهره مظهر أميرٍ بالفعل.

وعندما توقَّف أمامه لإظهار التعازي والحُزن، وشاكِراً إيَّاه، رمَش الأمير فالار بعينيه الزرقاوين وقال: «كان أبي في التاسعة والثلاثين فقط. كانَ ليكونَ ملكاً عظيماً، أعظم حتَّى من إيغون التنين. لمَ أخذته الآلهة وتركتك؟». وهزَّ برأسِه. «انصَرِف يا سير دانكين .. انصَرِف».

صامِتاً، خاوياً من الكلمات، عرَج من القلعَة إلى مُخيَّمه بجانب البركة الخضراء. لم يكُن لديه إجابة لـ فالار، ولا للأسئلة التي طرحها على نفسه. كان المايسترات قد أنجزوا عملهم بخفَّة، وبدأ جرحه يلتأم على نظافة وأثرُ الندبة العميقة ظلَّ مُجعَّداً بينَ كتِفه الأيسر وحلمة صدره. لم يستطع رؤية الندب بدون التفكير بالأمير بايلور. *لقد أنقَذني مرَّتين، مرَّة بسيفِه، ومرَّة بكلماتِه رغم أنَّه كان ميتاً حين وقف هناك، ليسَ للعالَم معنى حينَ يموت أميرٌ عظيم مثله، ليعيشَ فارسٌ متجوِّل.*

وجلسَ دانك تحت الدردار وحدَّق بقدميه.

***

ظهرَ أربعة حُرَّاس يرتدون الزيَّ الملكي بمعاطفهم البيضاء أمامه في مُخيَّمه في وقتٍ متأخِّر من أحد الأيام. كان مُتأكِداً أنَّهم أرادوا قتله بعد كل ما حدث، لكن كان مُرهقاً وسيفُه بعيدٌ عنه، لذا بقيَ ساكِناً تحت الدردار مُنتظراً.

«أميرنا يطلُب منكَ كلمةً على انفراد».

سألهم دانك بقلق: «أيُّ واحد؟».

«هذا الأمير». وخرَج الأمير مايكار من خلف الأشجار.

نهض دانك ببطء على قدميه. ماذا سيحصل الآن؟

أشارَ مايكار بيده، واختَفى الحُراس فجأة كما ظهروا. حملَق فيه الأمير للحظةٍ طويلة، ثُمَّ استدار وابتعد عنه للوقوف بجانِب البركة مُحدِقاً بانعكاس صورته في الماء. قال فجأة: «لقد أرسلتُ إريون إلى لِس .. قد يتغيَّر للأفضل بعد أن يعيشَ في المدن الحُرَّة».

لم يذهب دانك إلى المُدن الحُرَّة من قبل، لذلك لم يعرف ماذا يُعلِّق على ذلك. لكنَّه كان سعيداً برحيل إريون من الممالِك السبعة، مُتمنِّياً أن لا يعود أبداً. وهذه فكرة لن يجرؤ على قولِها للأمير. فوقفَ صامِتاً.

أدارَ الأمير مايكار وجهه إليه. «سيقول البعض أنِّي قصدتُ قتل أخي، الآلهة تشهد لي أني لم أقصِد ذلك، لكني سأسمع أقاويلهم حتَّى يوم مماتي وأنَّ صولجاني هو من قتله، لاشكَّ في ذلك. كانَ الأعداء الثلاثة الآخرون من الحرس الملكيِّ وسيمنعُهم قسمهم من المساس به، لذلك أنا

المُتَّهم. لكن الغريب أنِّي لا أذكُر الضربة التي كسرت جُمجمته. هل هذه نعمة أم نقمة؟ الاثنين .. على ما أظن».

بدا أن الأمير يبحثُ عن إجابة من الطريقة التي ينظر بها إلى دانك. «لا أعرف .. سموَّ الأمير». ربما كان عليه أن يكره مايكار، لكنَّه شعر بتعاطف غريب نحوه. «لقد لوَّحت بالصولجان يا سيِّدي .. لكن الأمير بايلور كان يُقاتِل لأجلي. أنا قتلتُه أيضاً وأتحمَّل الذنب بقدرك».

أكَّد الأمير: «نعم .. ستسمعُهم يقولونَ ذلك أيضاً. الملك طاعن في السن، وحين يموت، سيتسلَّقُ الأمير الشاب فالار ويأخذ مكان والِده، وفي كُلِّ مرَّة نُهزَم بالمعركة أو يحترق المحصول، سيصيح المُغفَّلون "لم يكن بايلور ليدع ذلك يحدث، لكن الفارس المتجوِّل قتله"».

إنَّ ما يقوله حقيقيٌّ. «لو لم أُقاتِل لكنت فقدت يدي وقدمي. أحياناً أجلسُ تحت هذه الشجرة وأتأمل قدمي وأفكِّر كيف ستكون حالي لو قُطِعت، ولكن ماذا تُساوي قدمي أمام حياة أمير؟ والاثنان الآخران، الفارِسين همفري، كانا رجالاً شُرفاء». كان السير همفري هاردينج قد ماتَ الليلة السابقة مُتأثِراً بجراحه.

«وما الإجابة التي تُعطيها الشجرة؟».



«لا أسمَعُ شيئاً، لكن السير آرلان اعتاد على أن يقول في كُلِّ غروب للشمس «ومن يدري ماذا سيُخبِّئ لنا الغد». لكنَّه لم يَعرِف أبداً. حسنٌ ربما سيأتي الغد ويحتاج فيه العالم لهذه القدم. ولكن حقاً، هل سيحتاج العالم لقدمٍ أكثر من احتياجِه لأمير؟».

فكَّر مايكار لبرهةٍ بكلامِه، وفمه المُطبَق أعلى لحيته الرماديَّة التي جعلت وجهه يبدو كالمُربَّع. قال بقسوة: «من غير المُحتَمل أن يحتاجَها العالم. العالم به العديد من الفرسان الجوَّالين مثلك، وجميعهم لديهم أقدام».

«إذا كان لديكَ إجابة على ذلك، يسُرّني سماعها».

عبَس مايكار: «ربما الآلهة تسخَر منَّا وحسب، أو ربما لا يوجد آلهة أصلاً، ربما ليس هناك معنى لأيِّ شيء. لقد سألتُ السيبتون الأعظم، وفي المرَّة الأخيرة التي ذهبت إليه، أخبرني أنه لا يوجد رجل يستطيع حقًا فهم إرادة الآلهة. ربما يجب أن ينام تحت شجرة ...». وتهجَّم. «على كُلِّ حال، يبدو أنَّ ابني الأصغر قد أصبَح مولعاً بك أيُّها السيِّد. لقد حان الوقت ليكونَ مُرافِقاً لأحدهم، لكنه أخبرني أنه لن يخدم أي فارس سواك. إنَّه فتى عنيد كما ستعلم. إذاً هل تُريده؟».

«أنا؟». فرَغ دانك فاه وأغلقها، وفتحها ثانيةً وأغلقها. وأكمل أخيراً: «تقصِد إيغ .. أعني إيغون .. إنَّه فتى جيِّد سموَّ الأمير .. لكن .. أعني .. أنا مُجرَّدُ فارِس متجوِّل».

قال مايكار: «ومن الممكن تغيير هذا .. إيغون سيعود معي إلى القلعة في سمرهول. هناك مكانٌ لكَ بالطبع إذا أردت. فارسٌ من حملة رايتي، سوف تُقسِم بسيفِك لي، وإيغون سيخدِمكَ كمُرافِق. وبينما تُدرِّبه، سيقوم قيِّم السلاح عندي بإنهاء تدريبك أنتَ أيضاً». وألقى نظرةً حصيفة. «السير آرلان فعل لأجلك الكثير، لاشكَّ في هذا، ولكن ما زال أمامَك الكثير لتتعلَّمه أيضاً».

«أعلم .. يا سيِّدي» وأشاح دانك بنظره عنه. شاهَد العُشبَ الأخضر والقصب، وشجرة الدردار الكبيرة، وتراقُص الأمواج على سطح البركة المُضاءة بنور الشمس، وكان يعسوبٌ ما يتقافَز بين الزرع، أو ربما كان نفسه في المرَّة الأولى! ماذا عليَّ أن أقول؟ حشرةُ التنِّين أم التنين؟ قبل أيام قليلة كان سيجيب على الفور. كان هذا كل ما كان يحلم به، ولكن الآن بعد أن أصبح هذا الاحتمال قريباً للغاية، أخافه. «قبل وفاة الأمير بايلور بقليل، أقسمتُ أن أكون رجله».

«يالها من وقاحَة .. وماذا أجابك؟».

«أن البلاد بحاجة لرجالٍ صالحين».

«هذا صحيح بالفعل. إذاً ما قولك؟».

سوف آخذ ابنكَ كمُرافِق لي يا سيِّدي، ولكن ليس إلى سمرهول. وليسَ لمدَّة عامٍ أو عامَين، لقد رأى ما يكفي من القِلاع .. ما أريد قولَه، أني سآخذه معي فقط لنتجوَّل على الطريق». وأشار إلى الكستنائيَّة. «سوف يركبُ مهرتي، ويرتدي معطفي القديم، ويشحذُ سيفي ليبقى حادًا وينظف درعي. سننام في النزل والإسطبلات، أو أحياناً في أروقة بعض الفرسان أو اللوردات الأقل شأناً، وربما تحت الأشجار عندما يتعيَّن علينا ذلك».



نظرَ الأمير مايكار إليه بتهجُّم: «هل أفقدتك المُبارزة عقلك؟ إن إيغون من دم التنين، أميرٌ من أمراء المملكة، لا يجدُر بالأمراء النومَ في الزريبَة وأكل اللحم المُملَّح». وتحيَّر في أمرِه. «هناك شيءٌ آخر تريد إخباري به؟ ما هوَ؟ لا تخشَ شيئاً قل ما شئت».

قال بهدوء شديد: «أُراهن أن دايرون لم ينم أبداً في زريبة، وكلُّ اللحم الذي أكلَه إريون كان طازجاً وشهيّاً، أليس كذلك»..

تأمَّل مايكار تارجاريان أمير سمرهول وجه دانك البراغيثي لفترة طويلة. وكان فكَّه يهتزُّ فوق لحيته الفضيَّة. أخيراً، استدار وغادر، ولم يتكلَّم بكلمةٍ أبداً. سمعه دانك وهو يركب مع رجاله. وعندما غادروا، لم يبقَ سوى صوت طنين جناحي اليعسوب الخافت وهو يتدفق عبر الماء.

***

جاءه الصبيُّ صباحَ الغد مع شروق الشمس. كان يرتدي حذاءًا قديمًا، وسِرِوالاً بنياً، وسترة من الصوف البني كذلك، وعباءة مسافر عجوز. «السيِّد والدي يقول إنني سأخدمك».

ذكَّره دانك: «سأخدِمكَ يا سيِّدي .. يُمكنكَ البدء إذاً بسرج الخيول، الكستنائيَّة لك، عاملها بلطف. لا أريد أن أجدك راكباً على رعد إلَّا إذا وضعتُكَ عليه».

ذهب دانك ليُجهِّزَ السروج: «إلى أينَ راحلون يا سيِّدي؟».

فكَّر دانك للحظة: «لم أذهب يوماً إلى الجبال الحمراء. هل ترغب بإلقاء نظرة على دورن؟».

قالَ بابتسامةٍ عريضَة: «سمعتُ أنَّ لديهم مُحرِّكي دمى بارعين».



تمَّت.

ترجمة: عبد الرحمن حداد.